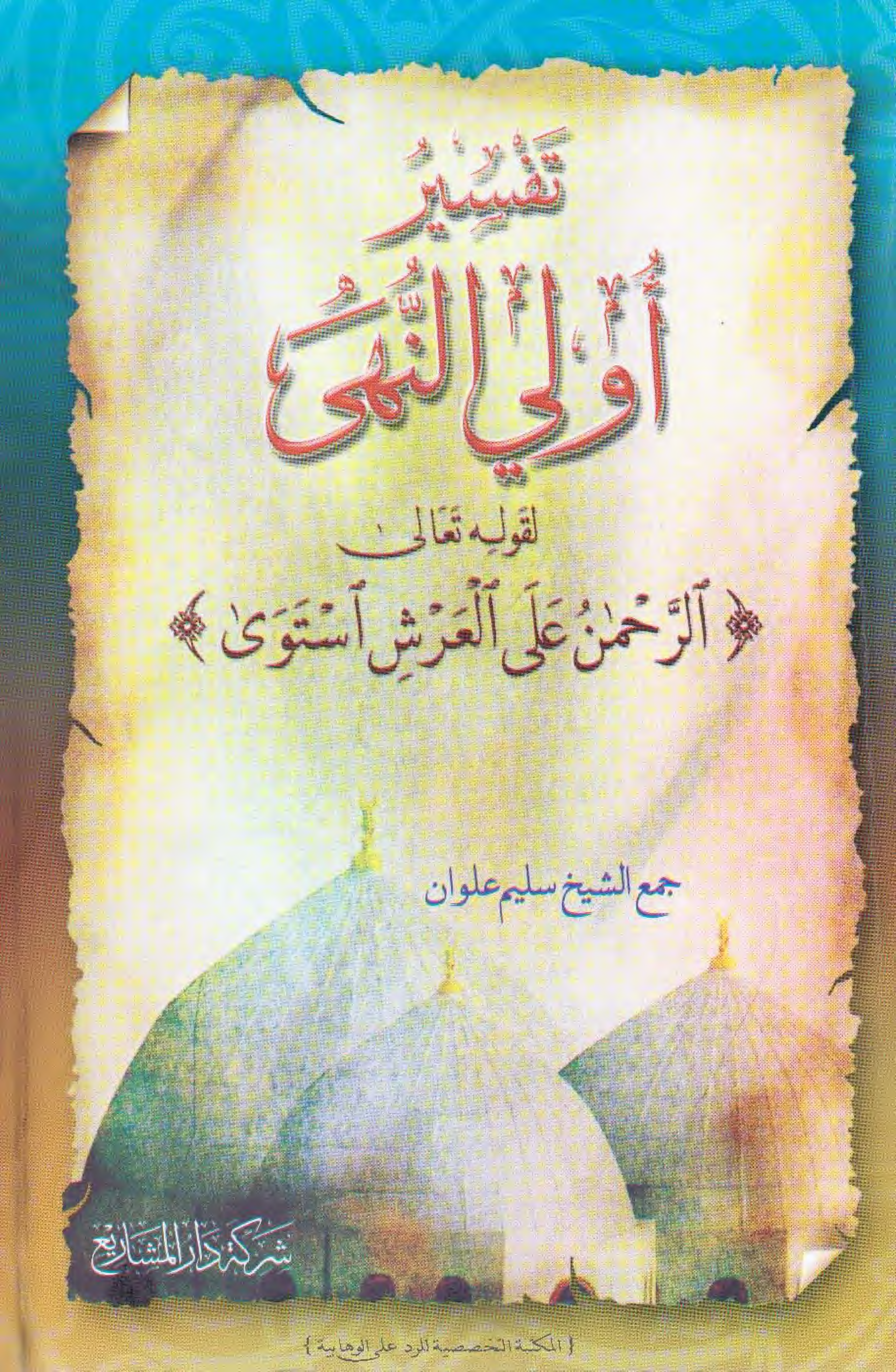

تفسير
أولي النهى
لقوله تعالى
﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾
جمع الشيخ سليم علوان
شركة دار المشاريع
{ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية }

تفسير أولي النهى

لقوله تعالى

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

مُلتزم الطبع

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

الطبعة الثالثة

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المتعالي عن الشبيه والنظير الذي ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، وكل شىء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شىء وهو على كل شىء قدير. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وخاتم النبيين وإمام المتقين وسيد السابقين واللاحقين وعلى ءاله وأصحابه الطيبين.

أما بعد، فلا زال علماء الإسلام من السلف والخلف يردُّون ويؤلفون في تفنيد وتزييف شبه المنحرفين وأهل الأهواء، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عاملين بقول الله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة ءال عمران]، ومن المنكر قول المبتدعة المجسمة نفاة التوسل (الوهابية) في حق الله بالجلوس والاستقرار على العرش تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. وليس لهم فيما قالوه حجة بل زعمهم هذا فرية بلا مرية ولا يؤيده نقل ولا عقل ولا يثبت ذلك عن أحد من أئمة أهل السنة وإنما دأبهم الغش والتلبيس والتدليس.

ولما كان الوهابية عقيدتهم التشبيه والتجسيم وصفوا الله تعالى بالجلوس والاستقرار فحملوا الآيات المتشابهة التي ظاهرها يوهم ذلك على ما اعتقدوه، فقدموا رأيهم على الآيات وجعلوها تابعة

لهم فقالوا استواء الله على العرش هو الجلوس والاستقرار تعالى الله عن قولهم، فشبهوا ولم ينزهوا وخالفوا ما عليه الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، فخرقوا إجماع الأمة من تنزيه الله عن الجلوس والاستقرار وصاروا يدورون بين العامّة وينشرون بين الناس أن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] يدلّ على ما زعموه، وهذه دعوى باطلة لا تقوم على أساس التوحيد وإنما على الأوهام والتشبيه، فلم يكتفوا بما ارتكبوه من الإثم والكفر بل ضللوا وبدَّعوا من تأوَّل من أهل السنة هذه الآية بالاستيلاء أي على معنى القهر مع أن هذا التفسير جائز لغة وشرعًا كما سيأتي إن شاء الله، وأما زعم الوهابية فباطل لغة وشرعًا وعقلًا.

ولما كان الأمر على ما ذكرنا كتبنا هذه الرسالة في بيان أن الله تعالى لا يوصف بالجلوس والاستقرار على العرش ولا السكنى فوق العرش، وأنه يجوز تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر مع ذكر الأدلة على ذلك، وقد سميناها بـ «**تفسير أُولي النُّهى لقوله تعالى**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾».

واللَّهَ نسألُ أن ينفع بها من قرأها ويجعلها عتقًا لنا ولمن ساهم في نشرها من النار ءامين، وعلى الله الاعتماد إنه ولي السداد.

بيان

أن الله منزَّه عن الجهة والجلوس والاستقرار على العرش بالأدلة من القرءان والحديث والعقل وأقوال الأئمة

أما ما يدل على ذلك من القرءان الكريم قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى] أي أن الله تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه بوجه من الوجوه، ففي هذه الآية نفي المشابهة والمماثلة فلا يحتاج إلى عرش ولا إلى مكان يحل فيه ولا إلى جهة يتحيز فيها.

وقول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النحل] أي لله الوصف الذي لا يشبه وصف غيره، فلا يوصف ربنا عزَّ وجلَّ بصفات المخلوقين من التغيّر والتطور والحلول في الأماكن والسُّكنى فوق العرش، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقال الله تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل] أي لا تجعلوا لله الشبيه والمثيل فإن الله تعالى لا شبيه له ولا مثيل له، فلا ذاته يشبه الذوات ولا صفاته تشبه الصفات.

وأما الحديث فقد قال رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاري وغيره[1]، فهذا الحديث دليل على أنه لم يكن في الأزل مكان، فهو سبحانه وتعالى موجود قبل المكان وبعد خلق المكان بلا مكان ولا جهة.

وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: «إن الله تعالى خلق العرش

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الروم]، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٩).

إظهارًا لقدرته ولم يتخذه مكانًا لذاته»، وقال أيضًا: «قد كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان» أي موجود بلا مكان[1].

وقال إمام الحرمين الجويني الشافعي (٤٧٨هـ) ما نصه[2]: «ومذهب أهل الحق قاطبة أن الله سبحانه وتعالى يتعالى عن التحيّز والتخصص بالجهات» اهـ.

وقال الأستاذ عبد القاهر التميمي (٤٢٩هـ) في كتابه «الفرق بين الفرق» ما نصه[3]: «وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان» اهـ.

ونقل الشيخ تاج الدين السبكي الشافعي الأشعري (٧٧١هـ) عن الإمام فخر الدين بن عساكر (ت ٦٢٠هـ) أنه قال: «إن الله تعالى موجود قبل الخلق ليس له قَبْلٌ ولا بَعْدٌ ولا فوقٌ ولا تحتٌ ولا يمينٌ ولا شمالٌ ولا أمامٌ ولا خلفٌ» اهـ، ثم قال تاج الدين السبكي بعد أن ذكر هذه العقيدة ما نصه[4]: «هذا ءاخر العقيدة وليس فيها ما ينكره سُنّي» اهـ.

وأما الدليل العقلي على تنزيه الله عن المكان والجهة والجلوس، فنقول:

اعلم أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، والعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع إذ إن الشرع لا يأتي إلا بمجوَّزات العقل كما قال الحافظ الفقيه الخطيب البغدادي[5]: «الشرع إنما يَرِدُ بمجوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اهـ.

---

(١) ذكره أبو منصور البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص/٣٣٣).
(٢) الإرشاد (ص/٥٨).
(٣) الفرق بين الفرق (ص/٣٣٣).
(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة عبد الرحمٰن بن محمد بن الحسن (٨/ ١٨٦).
(٥) الفقيه والمتفقه (ص/ ٩٤).

وقال أهل الحق: إن الله ليس بمتمكن في مكان أي لا يجوز عليه المماسة للمكان والاستقرار عليه، وليس معنى المكان ما يتصل جسم به على أن يكون الجسمان محسوسَيْن فقط بل الفراغ الذي إذا حل فيه الجرم شغل غيره عن ذلك الفراغ مكان له كالشمس مكانها الفراغ الذي تسبح فيه، وعند المشبهة والكرامية والمجسمة الله متمكن على العرش وتعلقوا بظاهر قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فقالوا الاستواء الاستقرار، وقال بعضهم: الجلوس، وهؤلاء المشبهة قسم منهم يعتقدون أن الله مستقر على العرش ويكتفون بهذا التعبير من غير أن يفسروا هل هذا استقرار اتصال أم استقرار محاذاة من غير مماسة، وقسم منهم صرحوا بالجلوس، والجلوس في لغة العرب معناه تَمَاسُّ جسمين أحدهما له نصف أعلى ونصف أسفل، فمن قال إنه مستو على العرش استواء اتصال أي جلوس، أو قال استواؤه مجرد مماسة من غير صفة الجلوس فهو مجسم ضال، والذين قالوا إنه مستوٍ على العرش من دون مماسة أي إنما يحاذيه من فوق أي كما تحاذي أرضنا السماء فهؤلاء أيضًا مجسمة ضالون، فلا يجوز أن يكون قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] على إحدى هذه الصفات الثلاث، والتفسير الصحيح تفسير من قال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ قَهَرَ لأن القهر صفة كمال لله تعالى هو وصف نفسه به قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [سورة الرعد]، فيصح تأويل الاستواء بالاستيلاء وإن كانت المعتزلة وافقت أهل السنة في ذلك.

وأقبح هذه الاعتقادات الفاسدة اعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش أو واقف عليه لأن فيه جعل الله تعالى محمولا للعرش والعرش محمول للملائكة، فالملائكة على هذا الاعتقاد قد حملوا

الله تعالى، فكيف يليق بالإِلٰه الذي أوجد العالم بأسره أن يحمله شىء من خلقه، فعلى قول هؤلاء يلزم أن يكون الله محمولَ حامل ومحفوظَ حافظ وهذا ما لا يقوله عاقل.

قال الإمام أبو سعيد المتولي الشافعي الأشعري (٤٧٨هـ) في كتابه «الغُنية في أصول الدين» ما نصه[١]: «والغرض من هذا الفصل نفي الحاجة إلى المحل والجهة خلافًا للكرّامية والحشوية والمشبهة الذين قالوا إن لله جهة فوق.

وأطلق بعضهم القول بأنه جالس على العرش مستقر عليه تعالى الله عن قولهم.

والدليل على أنه مستغن عن المحل أنه لو افتقر إلى المحل لزم أن يكون المحل قديمًا لأنه - أي الله - قديم، أو يكون - أي الله - على زعمهم - حادثًا كما أن المحل حادث، وكلاهما كفر.

والدليل عليه أنه لو كان على العرش على ما زعموا لكان لا يخلو إما أن يكون مِثْل العرش أو أصغر منه أو أكبر، وفي جميع ذلك إثبات التقدير والحد والنهاية وهو كفر.

والدليل عليه أنه لو كان في جهة وقدرنا شخصًا أعطاه الله تعالى قوة عظيمة واشتغل بقطع المسافة والصعود إلى فوق لا يخلو إما أن يصل إليه وقتًا ما أو لا يصل إليه.

فإن قالوا: لا يصل إليه فهو قول بنفي الصانع لأن كل موجودين بينهما مسافة معلومة وأحدهما لا يزال يقطع تلك المسافة ولا يصل إليه يدل على أنه ليس بموجود.

فإن قالوا: يجوز أن يصل إليه ويحاذيه فيجوز أن يماسه أيضًا، ويلزم من ذلك كفران:

---

(١) الغُنية في أصول الدين (ص/٧٣ - ٧٥).

أحدهما: قدم العالم، لأنا نستدل على حدوث العالم بالافتراق والاجتماع.

والثاني: إثبات الولد والزوجة» اهـ.

وقد نص الإمام المحدّث الحافظ المفسر عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي (٥٩٧هـ) على نفي التحيز في المكان والاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق عن الله تعالى، وردَّ في كتابه «الباز الأشهب»(١) على ابن الزاغوني المجسم الذي قال: «فلما قال - تعالى - ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] علمنا اختصاصه بتلك الجهة»، وقال ابن الزاغوني أيضًا: «ولا بد أن يكون لذاته نهايةٌ وغاية يعلمها»، قال ابن الجوزي في الرد عليه ما نصه: «قلتُ: هذا رجلٌ لا يدري ما يقول لأنه إذا قَدَّر غايةً وفصلًا بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقرَّ بأنه جسم وهو يقول في كتابه إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما يتحيز، ثم يثبت له مكانًا يتحيز فيه.

قلت: - أي ابن الجوزي - وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التي لا بد لها من حيز، والتحت والفوق إنما يكون فيما يُقابَل ويحاذَى، ومن ضرورة المحاذِي أن يكون أكبر من المحاذَى أو أصغر أو مثله، وأن هذا ومثله إنما يكون في الأجسام، وكلّ ما يحاذِي الأجسام يجوز أن يمسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسةَ والمباينة، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدوثه، وإن منعوا هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدوث الجواهر، ومتى قدَّرنا مستغنيًا

---

(١) الباز الأشهب (ص/ ٥٤).

عن المحل ومحتاجًا إلى الحيز ثم قلنا إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالا فإن التجاور والتباينَ من لوازم التّحيز في المتحيّزات.

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزًا لم يخل إما أن يكون ساكنًا في حيّزهِ أو متحركًا عنه، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق، ومن جاورَ أو باين فقد تناهى ذاتًا والتناهي إذا اختص بمقدار استدعى مخصِّصًا، وكذا ينبغي أن يقال ليس بداخلٍ في العالم وليس بخارجٍ منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التي تختصُّ بالأجرام.

وأما قولهم خلق الأماكن لا في ذاته فثبت انفصاله عنها قلنا: ذاته المقدس لا يَقبل أن يُخلَق فيه شيء ولا أن يحل فيه شيء، وقد حملهم الحِسُّ على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم إنما ذكَر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه وهذا جهل أيضًا لأن قرب المسافة لا يتصور إلا في جسم، ويَعِزُّ علينا كيف يُنْسَبُ هذا القائل إلى مذهبنا.

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴿١٠﴾﴾ [سورة فاطر] وبقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام] وجعلوا ذلك فوقية حسية ونسوا أن الفوقية الحسية إنما تكون لجسم أو جوهر، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال فلان فوق فلان. ثم إنه كما قال تعالى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ﴿٤﴾﴾، فمن حملها على العلم حمل خصمُه الاستواء على القهر، وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه وقد ملأهُ والأشْبَه - أي على زعم هذه الطائفة المجسمة - أنه

مماس للعرش والكرسي موضِعُ قدميه. قلت: المماسة إنما تقع بين جسمين وما أبقى هذا في التجسيم بقية» انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي ولقد أجاد وشفى وكفى.

وقال المفسّر فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ما نصه[١]: «فلو كان علوّ الله تعالى بسبب المكان لكان علو المكان الذي بسببه حصل هذا العلوّ لله تعالى صفة ذاتية ولكان حصول هذا العلوّ لله تعالى حصولا بتبعية حصوله في المكان، فكان علو المكان أتم وأكمل من علو ذات الله تعالى، فيكون علو الله ناقصًا وعلوّ غيره كاملًا وذلك محال» اهـ.

وقال أيضًا عند تفسير ءاية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] ما نصه[٢]: «المسألة الثانية: المشبهة تعلقت بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه:

أحدها. أنه سبحانه وتعالى كان ولا عرش ولا مكان، ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيًّا عنه، فهو بالصفة التي لم يزل عليها إلا أن يزعُمَ زاعم أنه لم يزل مع الله عرش.

وثانيها. أن الجالس على العرش لا بد وأن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلَّفًا مركَّبًا، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلِّف والمركِّب وذلك محال.

وثالثها. أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنًا من الانتقال والحركة أو لا يُمْكِنُه ذلك، فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون مُحْدَثًا لا محالة، وإن كان الثاني كان كالمربوط.

---

(١) تفسير الرازي المسمّى التفسير الكبير (سورة البقرة/ءاية ٢٥٥ - مجلد٤/ جزء٧/ ص١٤).
(٢) المصدر السابق: (سورة طه/ءاية ٥ - مجلد١١ /جزء٢٢ /ص٥ - ٦).

ورابعها. هو أن معبودهم إما أن يحصل في كل مكان أو في مكان دون مكان، فإن حصل في كل مكان لزمهم أن يحصل في مكان النجاسات والقاذورات وذلك لا يقوله عاقل، وإن حصل في مكان دون مكان افتقر إلى مخصّص يخصصه بذلك المكان فيكون محتاجًا وهو على الله محال» اهـ.

وقال الحافظ المحدّث اللغوي الفقيه السيد محمد مرتضى الزَّبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) عند شرح كلام الغزالي[١]: «الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكّن جسمًا مماسًّا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال» ما نصه[٢]: «وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذَى مكانًا لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذًا متشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعًا كان هو مربعًا أو كان مثلَّثا كان هو مثلَّثا وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على المكان، ويُشْعِرُ ذلك بأنه متجزئ وله كلٌّ ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه ربعه أو خمسه، وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلا بتحديد وتتطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على البارئ تعالى فتجوّزه[٣] في حقه كفر من معتقِدِه، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون[٤]، وقبيح وصف البارئ بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسته جاز عليه مباينته، ومن جاز عليه المباينة والمماسة لم يكن إلا حادثًا، وهل

(١) إحياء علوم الدين: كتاب قواعد العقائد، الفصل الثالث، الأصل الثامن: (١/١٢٨).
(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٩).
(٣) أي القول بجوازه.
(٤) أي بحدوث.

علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماسة والمباينة على أجزائه. وقصارى الجهلة قولهم: كيف يتصوَّر موجود لا في محل؟ وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يَعْرِفُ غورها وقعرها إلا كلُّ غوَّاص على بحار الحقائق، وهيهات طلب الكيفية حيث يستحيل محال.

والذي يَدْحَضُ شُبَهَهُم أن يُقال لهم: قبلَ أن يَخلُقَ العالم أو المكانَ هل كان موجودًا أم لا؟ فمِن ضرورة العقلِ أن يقول: بلى، فيلزمه لو صحَّ قولُه: لا يُعلمُ موجود إلا في مكان أَحَدُ أمرين إما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول الربُّ تعالى محدَثٌ، وهذا مآلُ الجهلة الحشويةِ ليس القديمُ بالمحدَثِ والمُحدَثُ بالقديم. ونعوذ بالله من الحَيْرة في الدين» اهـ.

وقال أيضًا ما نصه[1]: «فإن قيل: نفيه عن الجهات الست إخبار عن عدمه إذ لا عدَم أشد تحقيقًا من نفيِ المذكور عن الجهات الست. قلتُ: النفي عن الجهات الست يكون ذلك إخبارًا عن عدم ما لو كان لكان في جهة من النافي لا نفي ما يستحيل أن يكون في جهة منه ألا ترى أن من نفى نفسه عن الجهات الست لا يكون ذلك إخبارًا عن عدمه لأن نفسه ليست بجهة منه. وأما قول المعتزلة القائمان بالذات يكون [كل] واحد منهما بجهة صاحبه لا محالة، فالجواب عنه هذا على الإطلاق أم بشريطة أن يكون كل واحد منهما محدودًا متناهيًا؟ الأوّل ممنوع، والثاني مُسَلَّم، ولكن البارئ تعالى يستحيل أن يكون محدودًا متناهيًا.

تنبيه. هذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سُني لا محدِّث ولا فقيه ولا غيره ولا يجيء قط في الشرع على لسان نبي التصريح بلفظ الجهة، فالجهة بحسب التفسير المتقدم منفية معنًى ولفظًا وكيف لا والحق يقول

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٥).

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾ ولو كان في جهة بذلك الاعتبار لكان له أمثال فضلًا عن مثل واحد» انتهى كلام الزبيدي.

وممن صرَّح بنفي الجلوس والاستقرار على العرش في حق الله من أئمة السلف الإمام المجتهد أبو حنيفة رضي الله عنه فقد قال في كتابه «الوصية»: «نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق»[1] اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي (ت ٥٤٣هـ) في كتابه «عارضة الأحوذي»[2] في الرد على المبتدعة الذين يزعمون أن الله في جهة فوق العرش: «قالوا - أي هؤلاء المبتدعة - وحجتهم ظاهر قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] قلنا: وما العرش في العربية؟ وما الاستواء؟ قالوا: كما قال الله تعالى ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف] قلنا إن الله، تعالى أن يمثل استواؤه على عرشه باستوائنا على ظهور الركائب، قالوا: وكما قال ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود] قلنا: تعالى الله أن يكون كالسفينة جرت حتى لمست فوقفت، قالوا: وكما قال ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المؤمنون] قلنا: معاذ الله أن يكون استواؤه كاستواء نوح وقومه لأن هذا كله استواء مخلوق بارتفاع وتمكن في مكان واتصال ملامسة، وقد اتفقت الأمة مِن قبل سماع الحديث ومن بعده على أنه ليس استواؤه على شيء من ذلك فلا يضرب له المثل بشيء من خلقه، قالوا: قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ﴿٤﴾﴾ [سورة السجدة]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾

(١) نقله الشيخ ملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (ص/ ٧٠).
(٢) عارضة الأحوذي (١/ ٤٤٢ - ٤٤٣).

[سورة البقرة] قلنا: تناقضت تارة تقول إنه على العرش فوق السماء ثم تقول إنه في السماء لقوله ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الملك] وقلتَ إنَّ معناه على السماء...» اهـ، إلى ءاخر كلامه في الرد على من أثبت الجهة.

ثم قال: «والذي يجب أن يعتقد في ذلك أنَّ الله كان ولا شيء معه ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش فلم يتعين بها ولا حدث له جهة منها ولا كان له مكان فيها فإنه لا يَحُول ولا يزول، قدوس لا يتغير ولا يستحيل. وللاستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية ومنها ما لا يجوز على الله بحال وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة فإنَّ شيئًا من ذلك لا يجوز على البارئ تعالى ولا يضرب له الأمثال في المخلوقات، وإمَّا أن لا يُفَسَّر كما قال مالك وغيره أن الاستواء معلوم يعني مورده في اللغة» اهـ، ثم قال: «فتحصَّل لك من كلام إمام المسلمين أن الاستواء معلوم وأن ما يجوز على الله غير متعين وما يستحيل عليه هو منزه عنه» اهـ.

وقال الحافظ الفقيه اللغوي تقي الدين السبكي في «السيف الصقيل» ما نصه[1]: «ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد به اللغة فيكون باطلًا وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره» اهـ.

وقال الحافظ عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧هـ) في كتابه «الباز الأشهب» ما نصه[2]: «الخالق سبحانه وتعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس على شيء فيفضل من ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام» اهـ.

---

(١) السيف الصقيل (ص/ ٨٧).
(٢) الباز الأشهب (ص/ ١٢٦).

وقال الذهبي (٧٤٨هـ) في كتابه «الكبائر» ما نصه[١]: «ولو قال إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف كفر» اهـ.

وقال الكمال بن الهمام الحنفي في «فتح القدير» ما نصه[٢]: «من قال الله جسم لا كالأجسام كفر» اهـ.

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) في «المنهاج القويم» ما نصه[٣]: «واعلم أن القرافي وغيره حكوا عن الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة رضي الله عنهم القول بتكفير القائلين بالجهة والتجسيم وهم حقيقون بذلك» اهـ.

وفي مختصر الإفادات[٤] لابن بلبان الدمشقي الحنبلي من أهل القرن الحادي عشر تكفير من قال إن الله في مكان أو قال إنه تعالى بكل مكان بذاته وتكفير من قال إن الله جسم أو جسم لا كالأجسام. اهـ.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي (١١٤٣هـ) في «الفتح الرباني»[٥]: «ومن اعتقد أن الله جسم قاعد فوق العرش فهو كافر وإن زعم أنه مسلم» اهـ.

قال الشيخ محمد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ): «إن القول بإثبات الجهة له تعالى كفر عند الأئمة الأربعة هداة الأمة كما نقل عنهم العراقي على ما في «شرح المشكاة» لعلي القاري» اهـ.

وقال العلامة المحدث الفقيه الشيخ عبد الله الهرري في كتابه «المقالات» ما نصه[٦]: «قولهم إن استواء الله على العرش جلوسٌ

---

(١) الكبائر (ص/ ١٥٧).

(٢) فتح القدير (١/ ٤٠٣).

(٣) المنهاج القويم (ص/ ٢٢٤).

(٤) مختصر الإفادات (ص/ ٤٨٩).

(٥) الفتح الرباني (ص/ ١٢٤).

(٦) المقالات السنية (ص/ ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١).

لكن لا كجلوسنا ويَستشهدون لذلك بقول بعض الأئمة «لله وجه لا كوجوهنا ويدٌ لا كأيدينا وعين لا كأعيننا». والجواب عنه أن الجلوس في لغة العرب لا يكون إلا من صفات الأجسام، فالعرب لا تطلق الجلوس إلا على اتصال جسم بجسم على أن يكون أحد الجسمين له نصفان نصف أعلى ونصف أسفل، وليس للجلوس في لغة العرب معنًى إلا هذا، وهم في هذا أثبتوا - أي الوهابية - الجسمية لله وبعضَ صفاتِها ولا يجوز ذلك على الله لأنه لو كان كذلك لكان له أمثال لا تحصى، فالجلوس يشترك فيه الإنسان والجن والملائكة والبقر والكلب والقرد والحشرات وإن اختلفت صفات جلوسهم.

ويقال لهم: أما الوجه واليد والعين فليست كذلك فإن الوجه في لغة العرب يُطلق على الجسم وعلى غير الجسم، والوجه بمعنى الجسم هو هذا الجزء الذي هو مركب في ابن ءادم وفي سائر ذواتِ الأرواح. وأما معنى الوجه الذي هو غير هذا الجزء في لغة العرب فمنه المُلك كما فسر البخاري في جامعه[1] قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة القصص] قال: «إلا ملكه» اهـ، ويطلق الوجه إذا أضيف إلى الله بمعنى ما يقرّب إلى الله من الأعمال كالصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة. ويطلق على الذاتِ، والذاتُ بالنسبة إلى المخلوقين الجِرم الكثيف أو اللطيف كحجم الإنسان وحجم النور والريح هذا معنى الذات في المخلوق، أما الذات إذا أضيف إلى الله فمعناه حقيقته لا بمعنى الحجم الكثيف أو اللطيف، وأما اليد فلها في لغة العرب معانٍ منها ما هو أجرامٌ وأجسام ومنها ما هو غيرُ الأجرام، فاليد تأتي

(١) صحيح البخاري: كتاب التفسير: أول سورة القصص.

بمعنى الجارحة التي هي مركبة في الإنسان وفي البهائم، وتأتي بمعنى غير الجِرم كالقوة، وتأتي بمعنى العهد. وأما العين فتطلق في لغة العرب على الجرم كعين الإنسان والحيوانات، وتطلق على الذهَب، وتطلق على الجاسوس، وتطلق على الماء النَّابع، وتطلق بمعنى الحفظ. وبهذا بان الفرق بين الجلوس وبين الوجه واليد والعين.

فلما كانت هذه الألفاظ الثلاثة واردة في القرءان مضافة إلى الله كان لها معانٍ غير الجسم وصفات الجسم؛ فأراد أبو حنيفة وغيره من الذين أطلقوا هذه العبارة «لله وجه لا كوجوهنا ويدٌ لا كأيدينا وعين لا كأعيننا» معاني هذه الألفاظ الثلاثة التي هي غير الجسم ولا هي صفة جسم مما يليق بالله كالقوة والملك والذات والحِفظ كما قال المُفسرون في تفسير قولِ الله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾ [سورة طه] قالوا: على حفظي.

ولهم - أي الوهابية - تمويه ءاخر وهو قولهم: «نثبت لله ما أثبت لنفسه وننفي عنه ما نفى عن نفسه»، يقال لهم: أنتم على عكس الحقيقة تثبتون لله الجسمية والحركة والسكون والتحيز في جهة أو مكان وهذا شىء نفاه الله عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾ [سورة الشورى] تدَّعون أنَّ قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] أنه جلوس على العرش والجلوس صفةٌ للإنسان والجن والملائكة والبقر وسائر البهائم والكلاب والقرود وهذا تنقيص لله تعالى، أما الذي تنكرونه وهو تفسير الاستواء بالقهر فهو شىء أثبته الله لنفسه بقوله ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [سورة الرعد]. لذلك جرت عادة المسلمين أن يسمّوا أولادهم عبد القاهر ولم يسمّ أحدٌ من المسلمين عبد الجالس. ويقال لهم: أثبت الله لنفسه الاستواء الذي يليق به وهو القهر وفي معناه الاستيلاء. وقد قال شارح القاموس وأبو القاسم الأصبهاني اللغوي

المشهور في «مفردات القرءان» إن الاستواء إذا عُدِّيَ بعَلى كانَ معناه الاستيلاء[1]، ولا معنى لقول ابن الأعرابي إن الاستيلاء لا يكون إلا عن سبق مغالبة، فإنكم قد خرجتم عن الاستواء اللائق لله تعالى وعمدتم إلى الاستواء الذي هو لا يليق به وهو الجلوس. انتهى كلام الشيخ الهرري.

وقال الحافظ البيهقي في كتابه «الاعتقاد» ما نصه[2]: «يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان ولا مماسة لشيء من خلقه» اهـ.

وقال الرازي في تفسيره ما نصه[3]: «أما قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] فاعلم أنه لا يمكن أن يكون المراد منه كونه مستقِرًّا على العرش، ويدل على فساده وجوه عقلية ووجوه نقلية، أما العقلية فأمور أولها أنه لو كان مستقِرًّا على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيًا وإلا لزم كون العرش داخلًا في ذاته وهو محال، وكل ما كان متناهيًا فإن العقل يقضي بأنه لا يمنع أن يصير أزيد منه أو أنقص منه بذرة، والعلم بهذا الجواز ضروري. فلو كان البارئ تعالى متناهيًا من بعض الجوانب لكان ذاته قابلًا للزيادة والنقصان، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بذلك المقدار المعين بتخصيص مخصص وتقدير مقدّر، وكل ما كان كذلك فهو محدَث، فثبت أنه تعالى لو كان على العرش لكان من الجانب الذي يلي العرش متناهيًا، ولو كان كذلك لكان محدَثًا وهذا محال، فكونه على العرش يجب أن يكون محالًا» اهـ.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٧) للفيروزابادي، مفردات القرءان (ص/ ٢٥١) للأصبهاني.
(٢) الاعتقاد (ص/ ٧٢).
(٣) التفسير الكبير (١٤/ ١٠٦).

وقد قال المفسر اللغوي أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) في تفسيره ما نصه[1]: «وأما استواؤه تعالى على العرش فحَمَلَه على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قَوْم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا» اهـ.

وذكر الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (٤٧٦هـ) صاحب «التنبيه» عقيدة أهل الحق فقال في كتابه: «الإشارة»[2] ما نصه: «إن الله عزَّ وجلَّ مستوٍ على العرش، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۝٣﴾ [سورة يونس]، وإن استواءه ليس باستقرار ولا ملاصقة لأن الاستقرار والملاصقة صفة الأجسام المخلوقة والرب عزَّ وجلَّ قديم أزلي لا يجوز عليه التغيير ولا التبديل ولا الانتقال ولا التحريك» اهـ.

وقال الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) في عقيدته المشهورة التي رد بها على مجسمة عصره ما نصه[3]: «استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواءً منزَّهًا عن المماسة والاستقرار والتمكُّن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقول أهل الغيّ والضلال، بل لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته» اهـ.

وكان هؤلاء المجسمة يكرهون الشيخ عز الدين لأنه كان من الأشاعرة - والوهابية كذلك يكرهون الأشاعرة ويضللونهم - والأشاعرة هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري وهم والماتريدية أعني أتباع الإمام أبي منصور الماتريدي أهل السنة والجماعة

(١) النهر الماد (١/ ٨٠٩).
(٢) الإشارة إلى مذهب أهل الحق (ص/ ٢٣٥).
(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢١٨) عند ترجمة الشيخ عز الدين.

جمهور أمة محمد ﷺ، فصاروا أي المشبهة يحرضون السلطان الأشرف ضد الشيخ فإنه كانت لهم صلة به، فقد صحبهم السلطان في صغره، وعلم بذلك الشيخ العلّامة جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي وكان عالم مذهبه في زمانه فقام بنصرة الحق وأهله وقال[1]: «ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق وان جمهور السلف والخلف على ذلك ولم يخالفهم فيه إلا طائفة مخذولة» اهـ.

ولم تخمد هذه الفتنة بل ظل المجسمة يعيثون في الأرض فسادًا حتى علم الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري شيخ الحنفية في زمانه بما جرى للشيخ عز الدين وكيف أن المجسمة استنصروا على أهل السنة وعلت كلمتهم بحيث إن المجسمة صاروا إذا خَلَوْا بأهل السنة أي الأشاعرة في المواضع الخالية يسبونهم ويضربونهم ويذمونهم - وكذا الوهابية اليوم يذمون الأشاعرة ويسبونهم ويكفّرونهم - فاجتمع بالسلطان وتكلم معه في بيان عقيدة أهل السنة من أنَّ الله منزه عن الاستقرار ولا يشبهه شيء وأن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، فانكسرت المبتدعة بعض الانكسار، ولم يزل الأمر مستمرًا على ذلك إلى أن اتفق وصول السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى من الديار المصرية وكان اعتقاده صحيحًا وكان وهو بالديار المصرية قد سمع ما جرى في دمشق للشيخ فرام الاجتماع بالشيخ ابن عبد السلام فاعتذر إليه وعاتب السلطان الأشرف على ما صدر منه. وهكذا ذلت رقاب المبتدعة وانقلبوا خائبين وعادوا خاسئين، وكان ذلك على يد السلطان الملك الكامل، واعتذر السلطان الأشرف من الشيخ وقال[2]: «لقد غلطنا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٣٠).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٢٣٩).

في حق ابن عبد السلام غلطة عظيمة» اهـ، فصار يطلب أن يُقرأ عليه العقيدة التي أملاها الشيخ ابن عبد السلام ويَأمر بقراءتها في المجالس العامة لتعم الفائدة.

فرحم الله تعالى من عمل على نشر عقيدة أهل الحق ودافع عنها فإنها رأس مال المؤمن التي يدخرها لآخرته.

بيان

أن الأئمة الأربعة على التنزيه
في مسئلة الاستواء

ثبت عن الإمام مالك رضي الله عنه ما رواه الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات»[1]، بإسناد جيّد كما قال الحافظ في «الفتح»[2] من طريق عبد الله بن وهب قال: كنّا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله: الرحمٰن على العرش استوى كيف استواؤُه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضَاءُ ثم رفع رأسه فقال: الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأخرج الرّجل.

فقول الإمام مالك: «وكيف عنه مرفوع» أي ليس استواؤه على العرش كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس ونحوه. وقوله: «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه» ذلك لأنَّ الرجل سأله بقوله كيف استوى، ولو كان الذي حصل مجرّد سؤال عن معنى هذه الآية مع اعتقاد أنها لا تؤخذ على ظاهرها ما كان اعترض عليه.

وروى الحافظ البيهقي[3] من طريق يحيى بن يحيى قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله الرحمٰن على العرش استوى فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه

---

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٠٨).
(٢) فتح الباري (١٣/٤٠٦ - ٤٠٧).
(٣) الأسماء والصفات (ص/٤٠٨).

الرّحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعًا فأمر به أن يخرج، قال البيهقي: وروي في ذلك أيضًا عن ربيعة بن عبد الرحمٰن أستاذ مالك ابن أنس رضي الله عنهما» اهـ.

قال المحدث الشيخ سلامة العزامي[1] - من علماء الأزهر -: قول مالك عن هذا الرجل «صاحب بدعة» لأنّ سؤاله عن كيفية الاستواء يدل على أنّه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسيّ الذي هو من قبيل تمكّن جسم على جسم واستقراره عليه وإنما شكّ في كيفية هذا الاستقرار. فسأل عنها وهذا هو التّشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة. اهـ

قلنا: وهذا فيمن سأل كيف استوى فما بالكم بالذي فسّره بالجلوس والقعود والاستقرار؟ ثم إنَّ الإمام مالكًا عالم المدينة وإمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين في الحديث رضي الله عنه ينفي عن الله الجهة كسائر أئمة الهدى، فقد ذكر الإمام العلّامة قاضي قضاة الإسكندرية ناصر الدّين بن المنير المالكي من أهل القرن السابع الفقيه المفسّر النّحوي الأصوليّ الخطيب الأديب البارع في علوم كثيرة في كتابه «المقتفى في شرف المصطفى» لما تكلّم عن الجهة وقرّر نفيها قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله في قوله ﷺ[2]: «**لا تفضلوني على يونس بن متى**»، فقال مالك: إنما خصّ يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هُبط إلى قابوس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحقّ جلّ جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل

---

(١) انظر فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان (ص/ ٢٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه بلفظ «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متّى»، انظر صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة الصافات].

بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متّى وأفضل مكانًا ولما نهى عن ذلك اهـ، ثم أخذ الفقيه ناصر الدّين يبيّن أن الفضل بالمكانة لا بالمكان» اهـ.

ونقل ذلك عنه أيضًا الإمام الحافظ تقي الدين السبكي الشافعي في كتابه «السيف الصّقيل»[1] والإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي في «إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين»[2] وغيرهما.

وأما ما يرويه سريج بن النّعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول «الله في السماء وعلمه في كل مكان» فغير ثابت. قال الإمام أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه. قال ابن عدي: يروي غرائب عن مالك، وقال ابن فرحون: كان أصمّ أميًّا لا يكتب. وراجع ترجمة سريج وابن نافع في كتب الضعفاء، وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا. فبان ممّا ذكرناه أنّ ما تنسبه المشبّهة للإمام مالك تقوُّلٌ عليه بما لم يقُل.

وسئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر»[3] لأنَّ هذا القول يوهم أنَّ للحقّ مكانًا ومن توهّم أنّ للحق مكانًا فهو مشبّه. وهذا القول ثابت عن الإمام أبي حنيفة نقله من لا يحصى كالإمام ابن عبد السلام في حل الرموز والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبَّه وتمرَّد»[4] والإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيّد»[5] وغيرهم.

---

(١) السيف الصقيل (ص/١٣٧).

(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٥).

(٣) انظر «الفقه الأبسط» (ص/٤٩) لأبي حنيفة.

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/١٨).

(٥) البرهان المؤيد (ص/٢٤).

وأما ما قاله المجسّم ابن القيّم في نونيته:

كذلك قال النّعمان وبعده
يعقوب والألفاظ للنّعمان

من لم يقرّ بعرشه سبحانه
فوق السماء وفوق كلّ مكان

ويقرّ أنّ الله فوق العرش لا
يخفى عليه هَوَاجِسُ الأذهان

فهو الذي لا شك في تكفيره
لله درك من إمام زمان

هو الذي في الفقه الأكبر عندهم
وله شروح عدّة لبيان

نقول: إنَّ هذا المجسّم يريد أن يروّج بدعته هذه بالكذب على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء، وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فإنه مبتدع داعية إلى بدعته غالٍ فيها كلَّ الغلوّ وكلّ مبتدع هذا شأنه لا يتوقى الكذب لينصر بدعته، فهذا «الفقه الأكبر»[1] فيه: «والله واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنّه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه» وفيه أيضًا[2]: «ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفيّة ولا كميّة ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة»، وفي «الوصيّة»[3] للإمام: «لقاء الله تعالى لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة»، وفي «الوصية»[4]: «نقرّ بأنّ الله

(١) الفقه الأكبر (ص/ ٣٠ - ٣١).
(٢) الفقه الأكبر (ص/ ١٣٦ - ١٣٧).
(٣) انظر «شرح الفقه الأكبر» (ص/ ١٣٨) لملا علي القاري.
(٤) انظر المصدر السابق (ص/ ٧٠).

على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا» اهـ. وفي «الفقه الأبسط»[1]: «كان الله ولا مكان كان قبل أن يخلق الخلق كان ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء وهو خالق كل شيء» وقال أيضًا: «فمن قال لا أعرف ربي أفي السماء هو أم في الأرض فهو كافر، كذلك من قال إنّه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» اهـ. وإنما كفر الإمام قائل هاتين العبارتين لأنه جعل الله مختصًّا بجهة وحيز وكلّ ما هو مختص بالجهة والحيّز فإنه محتاج محدث بالضرورة أي بلا شك وليس مراده كما زعم المشبّهة إثبات أنَّ السماء والعرش مكان لله تعالى بدليل كلامه السابق الصريح في نفي الجهة عن الله - وقد نقلنا ذلك -، ومن ذلك قوله: «ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان». ففي هذه إشارة من الإمام رضي الله عنه إلى إكفار من أطلق التّشبيه والتّحيّز على الله كما قال العلّامة البيّاضي الحنفي في «إشارات المرام»[2] والشيخ الكوثري في «تكملته»[3] وغيرهما.

وفي «شرح الفقه الأكبر»[4] لملّا عليّ القاري: «وما روي عن أبي مطيع البلخي أنّه سأل أبا حنيفة رحمه الله عمّن قال لا أعرف ربي في السماء هو أم في الأرض فقال: قد كفر لأنَّ الله تعالى

(١) الفقه الأبسط (ص/ ٥٧).
(٢) إشارات المرام (ص/ ٢٠٠).
(٣) تكملة الرد على النونية (ص/ ١٨٠).
(٤) شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٩٧ - ١٩٨).

يقول ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]، وعرشه فوق سبع سمٰواته، قلت: فإن قال إنّه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض قال: هو كافر لأنه أنكر كونه في السماء فمن أنكر كونه في السماء فقد كفر لأنّ الله تعالى في أعلى علّيين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل» اهـ. والجواب أنّه ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتابه «حلّ الرموز» أنّ الإمام أبا حنيفة قال: «من قال لا أعرف الله تعالى في السماء هو أم في الأرض كفر لأنّ هذا القول يوهم أنَّ للحقّ مكانًا ومن توهّم أنَّ للحقّ مكانًا فهو مشبّه» اهـ ولا شكّ أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح شارح عقيدة الطحاوي، مع أنَّ أبا مطيع رجل وضّاع عند أهل الحديث كما صرّح به غير واحد» انتهى كلام ملا علي القاري.

قال الشيخ مصطفى أبو السّيف الحمامي في كتابه «غوث العباد ببيان الرّشاد»[1]: «ومنه يعلم أمور:

الأمر الأول. أن تلك المقالة ليست في «الفقه الأكبر» وإنما نقلها عن أبي حنيفة رحمة الله عليه ناقل فيكون إسنادها إلى الفقه الأكبر كذبًا يراد به ترويج البدعة.

الأمر الثاني. أنَّ هذا الناقل مطعون فيه بأنّه وضاع كذاب لا يحلّ الاعتماد عليه في نقل يبنى عليه حكم فرعيّ فضلًا عن أصليّ فالاعتماد عليه وحاله ما ذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروّج بدعته.

الأمر الثالث. أنَّ هذا النقل صرّح به إمام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبي حنيفة رحمة الله عليه بالنقل الذي نقله عن هذا الإمام الأعظم رضي الله تعالى عنه، فاعتماد الكذاب وإغفال الثقة خيانة يراد به تأييد بدعته وهي جرائم تكفي واحدة منها فقط لأن تسقط الرجل من

---

(١) غوث العباد (ص/ ٣٤١ - ٣٤٢).

عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمة المجتهدين، ويعظم الأمر إذا علمنا أنَّ الخيانات الثلاث في نقل واحد وهو مما يرغم الناظر في كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فإنه لا فرق بين نقل ونقل، فإذا ثبتت خيانته في هذا جاز أن تثبت في غيره وغيره» انتهى كلام الحمامي.

وأما ما نسبه المجسّم ابن القيّم إلى يعقوب وهو الإمام أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما، قال الشيخ مصطفى الحمامي الذي هو أحد علماء الأزهر[1]: «لا شكّ أنّه كذب يروّج به هذا الرجل بدعته» اهـ وكذا قال الكوثري في «تكملته»[2]. فبهذا ينتسف ما قاله المجسم ابن القيم وكذلك ما تنسبه الوهابية إلى أبي حنيفة أنّه قال: «الله في السماء» فغير ثابت ففي سنده أبو محمد بن حيّان ونعيم بن حمّاد[3] ونوح بن أبي مريم أبو عصمة[4]، فالأول ضعفه بلديُّه الحافظ العسال. ونعيم بن حمّاد مجسّم. وكذا زوج أمه نوحٌ ربيبُ مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة. فنوح أفسده زوج أمه ونعيم أفسده زوج أمه، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدّين في عداد المجسّمة، فأين التّعويل على رواية مجسّم فيما يحتجّ به لمذهبه؟!، وقال الحافظ ابن الجوزي في «دفع شبه التشبيه»[5] عن نعيم بن حماد: «قال ابن عدي[6]: كان يضع الأحاديث وسئل عنه الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال: حديث منكر مجهول. اهـ.

---

(١) غوث العباد (ص/ ٣٤٢).
(٢) تكملة الرد على النونية (ص/١٠٨).
(٣) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٩).
(٤) انظر تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٣٣).
(٥) الباز الأشهب (٦٩ - ٧٠).
(٦) الكامل في الضعفاء (٧/ ١٦).

فإن قالت الوهابية: ذكره الذهبيّ نقلًا عن البيهقيّ في «الأسماء والصفات».

قلنا: رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»[1] وقال: «إن صحّت الحكاية»، فهذا يدل على عدم أمانة الذهبيّ في النقل حيث أغفل هذا القيد ليوهم القارئ أنَّ القول بأنّ الله في السماء كلام إمام مثل أبي حنيفة.

قال الشيخ الكوثري في تكملته[2]: «وقد أشار البيهقيّ بقوله: «إن صحّت الحكاية» إلى ما في الرواية من وجوه الخلل» اهـ. على أنّ الإمام البيهقي ذكر في «الأسماء والصفات» في كثير من المواضع أنَّ الله منزّه عن المكان والحدّ ومن ذلك قوله[3]: «واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه - تعالى - بقول النبيّ ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[4] وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» اهـ. وقوله[5]: «وما تفرّد به الكلبيّ وأمثاله يوجب الحدّ والحدّ يوجب الحدث لحاجة الحدّ إلى حادّ خصّه به والبارئ قديم لم يزل» اهـ. وقوله[6]: «وانّ الله تعالى لا مكان له»، ثم قال: «فإن الحركة والسكون والاستقرار من صفات الأجسام والله تعالى أحد صمد ليس كمثله شيء» اهـ.

فوضح بعد هذا البيان الشافي أن دعوى إثبات المكان لله تعالى أخذًا من كلام أبي حنيفة رضي الله عنه افتراء عليه وتقويل له بما لم يقل.

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤٢٩).
(٢) تكملة الرد على النونية (ص/ ١٨٠).
(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٤٠٠).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء: باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.
(٥) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٥).
(٦) الأسماء والصفات (ص/ ٤٤٨ - ٤٤٩).

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء: «ءامنتُ بلا تشبيه وصدّقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك وأمسكتُ عن الخوض فيه كلّ الإمساك» اهـ. ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيّد»[1] والإمام تقي الدين الحصني في «دفع شبه من شبّه وتمرد»[2] وغيرهما كثير، وقال أيضًا: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله». ذكره شيخنا المحدث عبد الله الهرريّ في كتابه «الصراط المستقيم»[3] والإمام الحصني في «دفع شبه من شبّه وتمرّد»[4] والشيخ سلامة العزامي وغيرهم، ومعناه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسّيّة والجسميّة التي لا تجوز في حقّ الله تعالى.

ولمّا سئل عن صفات الله تعالى قال: «حرام على العقول أن تمثّل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحدّ وعلى الظّنون أن تقطع وعلى النفوس أن تفكّر وعلى الضمائر أن تعمّق وعلى الخواطر أن تحيط إلا ما وصف به نفسه - أي الله - على لسان نبيّه ﷺ» اهـ ذكره الشيخ ابن جهبل[5] في رسالته في نفي الجهة عن الله التي ردّ فيها على المجسّم ابن تيمية.

وقال الشافعي رضي الله عنه أيضًا جامعًا جميع ما قيل في التوحيد: «من انتهض لمعرفة مدبّره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبّه وإن اطمأنّ إلى العدم الصرف فهو معطل وإن اطمأنّ لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد»[6].

---

(١) البرهان المؤيد (ص/ ٢٤).

(٢) دفع شبه من شبّه وتمرد (ص/١٨).

(٣) الصراط المستقيم (ص/ ٥٠).

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/٥٦).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٤٠).

(٦) أورده عن الشافعي ملّا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص/ ١٥٢).

قلنا: ما أدقّها من عبارة وما أوسع معناها شفى فيها صدور قوم مؤمنين فرضي الله عنه وجزاه عنّا وعن الإسلام خيرًا وقد أخذها من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، ومن قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل]، ومن قوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة مريم]، ومن قوله تعالى ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴿١٠﴾﴾ [سورة إبراهيم]. وكل هذا يدل على أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه على تنزيه الله عمّا يخطر في الأذهان من معاني الجسميّة وصفاتها كالجلوس والتحيّز في جهة وفي مكان والحركة والسكون ونحو ذلك، نعم فقد روى السيوطي[١] أنّ الإمام الشافعيّ قال: «المجسّم كافر».

قال الشيخ الإمام المتكلّم ابن المعلّم القرشيّ في كتابه «نجم المهتدي»[٢] ما نصه: «نقلا عن الشيخ الإمام أقضى القضاة نجم الدّين في كتابه المسمى «كفاية النّبيه في شرح التنبيه» في قول الشيخ أبي إسحاق رضي الله عنه في باب صفة الأئمة: ولا تجوز الصلاة خلف كافر لأنه لا صلاة له فكيف يُقتدى به». قال: «وهذا يفهم من كفره مجمع عليه ومن كفّرناه من أهل القبلة كالقائلين بخلق القرءان وبأنه لا يعلم المغدومات قبل وجودها ومن لم يؤمن بالقدر وكذا من يعتقد أنّ الله جالس على العرش كما حكاه القاضي حسين هنا عن نصّ الشافعي رضي الله عنه». اهـ

وأمّا ما ترويه المشبّهة عن الشافعي مما هو خلاف العقيدة السنية ففي سنده أمثال العشارى وابن كادش. أما ابن كادش فهو أبو العزّ ابن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦هـ من أصحاب العشارى اعترف بالوضع راجع الميزان[٣] وحكم مثله عند أهل

---

(١) الأشباه والنظائر (ص/٥٩٨).
(٢) نجم المهتدي (ق/ ٢٨٧)، مخطوط.
(٣) ميزان الاعتدال (١/ ١١٨).

النقد معروف. وأما العشارى فهو أبو طالب محمد بن علي العشارى المتوفى سنة **٤٥٢**هـ مغفَّل وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعي كذبًا وكلّ ذلك باعتراف الذهبي نفسه في الميزان[١] وغيره، وكذا ما ينسب للشافعي «وصية الشافعي» فهو رواية أبي الحسن الهكاري المعروف بوضعه كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل[٢]، فليحذر تمويهات المجسّمة فإنّ هذا دأبهم ذكر ما يوافق هواهم وإن كان كذبًا وباطلًا.

وسُئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الاستواء فقال: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر» ذكره الإمام أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد»[٣] والإمام الحصني في «دفع شبه من شبّه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد»[٤].

فانظر رحمك الله بتوفيقه إلى هذه العبارة ما أرشقها فهي اعتقاد قويم ومنهاج سليم إذ فيها تنزيه استواء الله على العرش عما يخطر للبشر من جلوس واستقرار ومحاذاة ونحو ذلك، أما المشبّهة ففسروا الاستواء بما يخطر في أذهانهم من جلوس وقعود ونحو ذلك، وهذا فيه دليل على تبرئة الإمام أحمد رضي الله عنه من المنتسبين إليه زورًا الذين يحرفون كلمة «استوى» فيقولون جلس قعد استقر تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا كالمجسّم ابن تيمية حيث صرح في «مجموع الفتاوى»[٥] فقال: «إنّ محمدًا رسول الله يُجلسه ربُّه على العرش معه» اهـ. وقال فيما رءاه الإمام أبو حيّان الأندلسيّ بخطه: «إنّ الله يجلس على الكرسيّ وقد أخلى مكانًا

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٦٥٦).

(٢) انظر «ميزان الاعتدال» (٣/ ١١٢)، و«ذيل تاريخ بغداد» (١٨/ ١٧٣) لابن النجار.

(٣) البرهان المؤيد (ص/ ٢٤).

(٤) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/ ١٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤).

يقعد معه فيه رسول الله» اهـ كما في «النهر الماد»[1] إلى غير ذلك من تخريفاته وتحريفاته.

والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من أبعد الناس عن نسبة الجسم والجهة والحدّ والحركة والسكون إلى الله تعالى، فقد نقل أبو الفضل التّميميّ رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها في كتابه «اعتقاد الإمام أحمد»[2] عن الإمام أحمد أنه قال: «وأنكر - يعني أحمد - على من يقول بالجسم وقال إنَّ الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طولٍ وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كلّه، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسميّة ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل» اهـ ونقله الحافظ البيهقي عنه في «مناقب أحمد»[3]. ونقل أبو الفضل التميميّ في كتاب «اعتقاد الإمام أحمد»[4] عن الإمام أنه قال: «والله تعالى لا يلحقه تغيّر ولا تبدّل ولا تلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش، وكان يُنكر - الإمام أحمد - على من يقول إنّ الله في كلّ مكان بذاته لأنَّ الأمكنة كلها محدودة».

وبيّن الإمام الحافظ ابن الجوزي الحنبليّ في كتابه «دفع شبه التّشبيه»[5] براءة أهل السنة عامّة والإمام أحمد خاصة من مذهب المشبّهة وقال: «وكان أحمد لا يقول بالجهة للبارئ» انتهى بحروفه.

---

(١) النهر الماد (١/ ٢٥٤).
(٢) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٤٥).
(٣) مناقب أحمد (ص/ ٤٢).
(٤) اعتقاد الإمام أحمد (ص/ ٣٨ - ٣٩).
(٥) دفع شبه التشبيه (ص/ ٥٦).

وقال القاضي بدر الدّين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل»[1] إنَّ الإمام أحمد كان لا يقول بالجهة للبارئ تعالى اهـ.

وقال المحدث الفقيه بدر الدّين الزركشي في كتابه «تشنيف المسامع»[2]: «ونقل صاحب الخصال من الحنابلة عن أحمد أنه قال عن من قال جسم لا كالأجسام كفر» اهـ.

وروى الحافظ البيهقي في مناقب أحمد عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل عن أحمد بن حنبل تأوّل قول الله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقيّ: «وهذا إسناد لا غبار عليه». نقل ذلك ابن كثير في تاريخه[3]. وقال الحافظ البيهقيّ أيضًا في «مناقب أحمد»: «أنبأنا الحاكم قال حدّثنا أبو عمرو بن السّماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعتُ عمي أبا عبد الله - يعني أحمد - يقول: «احتجوا عليّ يومئذ - يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين - فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنّما هو الثّواب قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الفجر] إنّما يأتي قدرته وإنّما القرءان أمثال ومواعظ. قال الحافظ البيهقي: وفيه دليل على أنّه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالا من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها وإنّما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته فإنهم لما زعموا أنّ القرءان لو كان كلامَ الله وصفةً من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله بأنّه إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذٍ

---

(١) إيضاح الدليل (ص/١٠٨).

(٢) تشنيف المسامع (٤/٦٤٨).

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٢٧٥).

فعبّر عن إظهاره إياه بمجيئه، وهذا الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذّاق من أهل العلم المنزّهون عن التّشبيه» اهـ.

وقال شيخنا العلامة المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ[1]: «وهذا دليل على أنّ الإمام أحمد رضي الله عنه ما كان يحمل ءايات الصفات وأحاديث الصفات التي توهم أنَّ الله متحيّز في مكان أو أنّ له حركةً وسكونًا وانتقالا من علو إلى سفل على ظواهرها كما يحملها ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادًا التّحيز لله في المكان والجسميّة ويقولون لفظًا ما يموّهون به على الناس ليظنّ بهم أنهم منزّهون لله عن مشابهة المخلوق فتارة يقولون «بلا كيف» كما قالت الأئمة وتارة يقولون «على ما يليق بالله»، نقول: لو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علوّ وسفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل». انتهى بحروفه.

(١) المقالات السنية (ص/ ١٩٤).

بيان

معنى استوى في لغة العرب

الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه فيأتي بمعنى:

١ - التمكّن والاستقرار:

ومنه قوله تعالى ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود] أي أن سفينة نوح عليه السلام استقرت على جبل الجودي[١].

ويقال: استوى الرجل على ظهر دابته أي استقرَّ عليها، قاله اللغويون وغيرهم[٢].

٢ - الاستقامة والاعتدال:

ومنه قوله تعالى ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح] أي الزرع، والمراد بالاستواء في هذه الآية الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج.

قال المفسر أبو حيان في تفسيره ما نصه[٣]: «فاستوى أي تمّ نباته على سوقه جمع ساق كناية عن أصوله» اهـ، وقال البيضاوي في تفسيره ما نصه[٤]: «فاستقام على قصبه جمع ساق» اهـ، ومثله

---

(١) انظر «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٠٦)، تفسير السمرقندي المسمى «بحر العلوم» (٢/ ١٢٨)، تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل» (م٢/ ج٣/ ص٢٣٤)، تفسير النسفي المسمى «مدارك التنزيل» (٢/ ١٨٩)، تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: مختار الصحاح (ص/ ١٣٦)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، المصباح المنير (ص/ ١١٣)، تاج العروس (١٠/ ١٩٠).

(٣) البحر المحيط (٨/ ١٠٣)، وانظر: «لباب التأويل» (م٤/ ج٦/ ص٢١٥)، «معالم التنزيل» (٥/ ١٩١).

(٤) أنوار التنزيل (م٢/ ج٥/ ص٨٦).

قال النسفي في تفسيره[1]، وقال القرطبي في تفسيره[2]: «فاستوى على سوقه: على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقًا له» اهـ.

وقال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس[3] ممزوجًا بالمتن: «(واستوى: اعتدل) في ذاته، ومنه قوله تعالى ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح]» اهـ، ويقال: استوى الشىء اعتدل[4].

٣ - التَّمام:

ومنه قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴿١٤﴾﴾ [سورة القصص] أي تمّت قوته الجسدية.

ففي «القاموس»[5]: «واستوى الرجل: بلغ أشده» اهـ، قال الحافظ محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس[6]: «فعلى هذا قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴿١٤﴾﴾ [سورة القصص]» اهـ، وفي «مختار الصحاح» ما نصه[7]: «واستوى الرجل: انتهى شبابه» اهـ، وكذا في «لسان العرب»[8] وفيه أيضًا ما نصه[9]: «قال الفراء: الاستواء في كلام العرب على وجهين أحدهما أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته. . .» اهـ.

وقال اللغوي الفيروزابادي ما نصه[10]: «﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴿١٤﴾﴾ [سورة القصص] قوي واشتد» اهـ.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤/ ١٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرءان (١٦/ ٢٩٥).

(٣) تاج العروس (١٠/ ١٨٨)، وانظر: «المفردات في غريب القرءان» (ص/ ٢٥١).

(٤) انظر: مختار الصحاح (ص/ ١٣٦)، المصباح المنير (ص/ ١١٣)، لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، القاموس (ص/ ١٦٧٣)، تاج العروس (١٠/ ١٨٨).

(٥) القاموس المحيط (ص/ ١٦٧٣).

(٦) تاج العروس (١٠/ ١٨٩).

(٧) مختار الصحاح (ص/ ١٣٦).

(٨) و(٩) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

(١٠) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦).

٤ - الاستيلاء أي القهر:

يقال استوى فلان على بلدة كذا إذا احتوى على مقاليد الملك واستولى عليها وحازها.

وسيأتي مزيد تفصيلٍ إن شاء الله تعالى لبيان أن استوى في لغة العرب تأتي بمعنى استولى في «فصل في إزالة شبه المانعين من تفسير الاستواء بالاستيلاء» عند الكلام على الشبهة الأولى.

وقال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[١]: «واستوى على سرير الملك كناية عن التملك وإن لم يجلس عليه» اهـ.

٥ - النضج:

قال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[٢]: «استوى الطعام أي نضج» اهـ.

٦ - القصد أو الإقبال:

قال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[٣]: «واستوى إلى العراق: قصد» اهـ، والاستواء بهذا المعنى قد يكون بالذات وهذا مستحيل على الله وقد يكون بالتدبير. وسيأتي مزيد تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى.

وقال ابن منظور في «لسان العرب»[٤]: «تقول: قد بلغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا معناه قصد بالاستواء إليه» اهـ، ثم قال: «قال الفراء: تقول كان فلان مقبلًا على فلان ثم استوى عليَّ وإليَّ يشاتمني على معنى أقبل إليَّ وعليَّ» اهـ.

---

(١) المصباح المنير (ص/١١٣).

(٢) المصباح المنير (ص/١١٣).

(٣) المصباح المنير (ص/١١٣)، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، القاموس المحيط (ص/١٦٧٣)، تاج العروس (١٠/ ١٨٩)، المفردات في غريب القرءان (ص/ ٢٥١)، مختار الصحاح (ص/ ١٣٦).

(٤) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

٧ - التماثل والتساوي:

في «المصباح المنير» ما نصه[١]: «استوى القوم في المال إذا لم يفضل منهم أحد على غيره وتساووا فيه وهم فيه سواء» اهـ.

وفي «لسان العرب» ما نصه[٢]: «استوى الشيئان وتساويا: تماثلا» اهـ.

٨ - الجلوس:

يقال: استوى على السرير إذا جلس عليه.

٩ - العلو:

قال ابن منظور في «لسان العرب» ما نصه[٣]: «قال الأخفش: استوى أي علا، تقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علَوْته» اهـ. والاستواء بمعنى العلو قد يكون بالرتبة وقد يكون بالمكان وهذا مستحيل على الله، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى.

وقال اللغوي الفيروزابادي عند تعداد معنى الاستواء ما نصه[٤]: «بمعنى الركوب والاستعلاء ﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف] أي ركبتم واستعليتم» اهـ.

وللاستواء غير ذلك من المعاني، فمن أراد التوسع فليطلبها في معاجم اللغة.

---

(١) المصباح المنير (ص/١١٣).

(٢) لسان العرب (١٤/ ٤١٠)، وانظر: القاموس (ص/١٦٧٣)، وتاج العروس (١٠/ ١٨٧).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

(٤) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦).

بيان

معنى استولى في لغة العرب

تأتي استولى في اللغة بمعنى:

١ - بلوغ الغاية:

قال ابن منظور في «لسان العرب»[١]: «استولى على الأمَد أي بلغ الغاية، ويقال اسْتَبَقَ الفارسان على فرسيهما إلى غاية تسابقا إليها فاستولى أحدهما على الغاية إذا سبق الآخر، ومنه قول الذبياني[٢]: سَبْق الجوادِ إذا استولى على الأمد. واستيلاؤه على الأمد أن يغلب عليه بسبقه إليه، ومن هذا يقال: استولى فلان على مالي أي غلبني عليه» اهـ.

٢ - القهر:

قال الفيومي في «المصباح المنير»[٣]: «واستولى عليه: غلب عليه وتمكّن منه» اهـ، أي قهره وصار تحت تصرفه.

٣ - التملك:

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في «تاج العروس»[٤]: «واستولى على الشىء إذا صار في يده» اهـ، وهذا فيه أيضًا معنى القهر.

---

(١) لسان العرب (١٥/٤١٣)، وانظر: القاموس تاج العروس (١٠/ ٤٠٠)، مختار الصحاح (ص/٣٠٦).

(٢) البيت هو: إلا لمثلك أو مَن أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد.

(٣) المصباح المنير (ص/٢٥٨)، وانظر: تاج العروس (١٠/٤٠١).

(٤) تاج العروس (١٠/٤٠١).

بيان

مسلك العلماء في تأويل ءاية الاستواء

اعلم أن لعلماء أهل الحق مسلكين كل منهما صحيح:

الأول: مسلك السلف وهم من كان من أهل القرون الثلاثة الأولى قرن أتباع التابعين وقرن التابعين وقرن الصحابة وهو قرن الرسول ﷺ، هؤلاء يسمون السلف، والغالب عليهم أن يؤولوا الآيات المتشابهة تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أن لها معنًى يليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين معنى خاص كآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] وغيرها من المتشابه بأن يقولوا بلا كيف أو على ما يليق بالله، وهذا يقال له تأويل إجمالي، أي قالوا استوى استواء يليق به مع تنزيهه عن صفات الحوادث ونفوا الكيفية عن الله تعالى أي من غير أن يكون بهيئة ومن غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والحركة والسكون وغيرها مما هو صفة حادثة. هذا مسلك غالب السلف ردّوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ۝١١﴾ [سورة الشورى] وتركوا تعيين معنًى معيَّنٍ لها مع نفي تشبيه الله بخلقه.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله» يعني رضي الله عنه لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيَّة الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

قال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[1]: «فأما

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٠٧).

الاستواء فالمتقدمون من أصحابنا رضي الله عنهم كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في أمثال ذلك» اهـ، وقال في موضع ءاخر[1]: «وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك هذا مع اعتقادهم نفي الحد والتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى» اهـ، ثم أسند إلى أبي داود قوله[2]: «كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ولا يمثلون يروون الحديث لا يقولون كيف، وإذا سئلوا أجابوا بالأثر، قال أبو داود: وهو قولنا. قلت: وعلى هذا مضى أكابرنا» اهـ، وقال في موضع ءاخر[3]: «عن الأوزاعي عن الزهري ومكحول قال: أمضوا الأحاديث على ما جاءت» اهـ، ثم قال: «سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه - أي ظاهرها يوهم ذلك - فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيفية» اهـ، وقال في موضع ءاخر[4]: «عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه» اهـ، وقال الإمام مالك: «الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع»، وفي رواية: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول» اهـ، رواهما البيهقي في «الأسماء والصفات»[5]، وقال الإمام أحمد عندما سئل عن الاستواء: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر[6]» اهـ.

---

(١) و(٢) الأسماء والصفات (ص/٤٢٦).

(٣) الأسماء والصفات (ص/٤٥٣).

(٤) الاسماء والصفات (ص/٣٣٠).

(٥) الأسماء والصفات (ص/٤٠٨).

(٦) ذكره الشيخ أحمد الرفاعي في «البرهان المؤيد ص/٢٤»، والحصني في «دفع شبه من شبه وتمرد ص/١٧».

والثاني: مسلك الخلف وهم الذين جاءوا بعد السلف وهم يؤولونها تفصيلًا بتعيين معان لها مما تقتضيه لغة العرب ولا يحملونها على ظواهرها أيضًا كالسلف فيقولون استوى أي قهر، ومن قال استولى فالمعنى واحد أي قهر، ولا بأس بسلوكه ولا سيما عند الخوف من تزلزل العقيدة حفظًا من التشبيه.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الاعتقاد» ما نصه[1]: «وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا - يعني المتشابه - ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله على قسمين منهم من قبله وءامن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه، ومنهم من قبله وءامن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد، وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب «الأسماء والصفات» التي تكلموا فيها من هذا الباب» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «الإنصاف» ما نصه[2]: «فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال ولا القيام ولا القعود لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص]، ولأن هذه الصفات تدل على الحدوث والله تعالى يتقدس عن ذلك. فإن قيل أليس قد قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] قلنا: بلى قد قال ذلك ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنة لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار ولا مكان[3] لأن الله تعالى كان ولا مكان فلما خلق المكان لم يتغيّر عما كان» اهـ.

---

(١) الاعتقاد (ص/ ٧٢).

(٢) الإنصاف (ص/ ٦٤ - ٦٥).

(٣) أي لا نقول إن العرش مكان له.

وقال البيضاوي في تفسيره[1]: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزهًا عن الاستقرار والتمكن» اهـ.

فالحاصل أن الذي لا يحمل الآيات المتشابهة على ظاهرها بل يقول لها معانٍ لا أعلمها تليق بالله تعالى غير هذه الظواهر مثلًا استواء الله على العرش له معنًى غير الجلوس وغير الاستقرار وغير استواء المخلوقين لكن لا أعلمه فهذا سَلِمَ وهذا هو الغالب على السلف حيث لا يخوضون بتعيين معان لها وتأويلها مع اعتقاد تنزيه الله عن الجلوس والاستقرار. وكذلك الذي يقول استواء الله على العرش هو قهره للعرش سَلِمَ من التشبيه. فالأول هو التأويل الإجمالي أي يقول استوى استواء يليق به من غير أن يفسره بالقهر، والثاني هو التأويل التفصيلي أي يقول استوى معناه قهر؛ فمن شاء أخذ بذاك ومن شاء أخذ بهذا.

أما الوهابية فليسوا على ما كان عليه السلف ولا الخلف بل هم على مسلك المجسمة المشبهة لأن الوهابية حملوا الاستواء على الاستقرار ومنهم من حمله على الجلوس فوقعوا في تشبيه الله بخلقه، فلا يقال عنهم «السلفيون» أو «السلفية» وإن سمَّوا أنفسهم بذلك ليخدعوا الناس أنهم على مذهب السلف، وقد علمت أن مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف فهم كما قال القائل:

وكلٌّ يدعي وصلًا بليلى
وليلى لا تُقِر لهم بذاكا

(١) أنوار التنزيل (م٢/ ج٣/ ص١٢).

بيان

من تأوّل من علماء أهل السنة الاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر

١ - اللغوي السلفي الأديبُ أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يحيى ابن المبارك (ت ٢٣٧هـ) كان عارفًا باللغة والنحو، قال في كتابه «غريب القرءان وتفسيره» ما نصه[١]: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: استوى استولى» اهـ.

٢ - الإمام اللغوي أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج (ت ٣١١هـ) قال فيه الذهبي[٢]: «نحوي زمانه» اهـ، قال في كتابه «معاني القرءان» ما نصه[٣]: «وقالوا: معنى استوى استولى» اهـ.

٣ - الإمام أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي (ت ٣٣٣هـ) إمام أهل السنة والجماعة، قال في كتابه المسمى «تأويلات أهل السنة» في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] ما نصه[٤]: «أو الاستيلاء [عليه] وأن لا سلطان لغيره ولا تدبير لأحد فيه» اهـ.

٤ - اللغوي أبو القاسم عبد الرحمٰن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) قال فيه الذهبي ما نصه[٥]: «شيخ العربية وتلميذ العلّامة أبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج، وهو منسوب إليه» اهـ، قال في

(١) غريب القرءان وتفسيره (ص/١١٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).
(٣) معاني القرءان (٣/ ٣٥٠).
(٤) تأويلات أهل السنة (١/ ٨٥).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥).

كتابه «اشتقاق أسماء الله» ما نصه[1]: «والعليُّ والعالي أيضًا القاهر الغالب للأشياء، فقول العرب علا فلان فلانًا أي غلبه وقهره كما قال الشاعر:

فلما عَلَونا واستوينا عليهم
تركناهم صرعى لنسر وكاسرِ

يعني غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم» اهـ.

٥ - الشيخ أبو بكر أحمد الرازي الجصّاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) في كتابه «أحكام القرءان»[2].

٦ - المفسّر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ) قال في تفسيره «النكت والعيون» ما نصه[3]: «﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف]: فيه قولان: ... والثاني: استولى على العرش كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراقِ
من غير سَيفٍ ودمٍ مُهراقِ» اهـ

٧ - قال الحافظ البيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه «الأسماء والصفات» ما نصه[4]: «وفيما كتب إليّ الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أنّ كثيرًا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة» اهـ.

٨ - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨) في تفسيره «الوجيز»[5].

٩ - الشيخ الحسين بن محمد الدامغاني الحنفي (ت ٤٧٨) في كتابه «إصلاح الوجوه»[6].

---

(١) اشتقاق أسماء الله (ص/ ١٠٩).
(٢) أحكام القرءان (٣/ ٣٢٥).
(٣) النكت والعيون (٢/ ٢٢٩).
(٤) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٢).
(٥) الوجيز في تفسير القرءان العزيز (٢/ ١٥).
(٦) إصلاح الوجوه (ص/ ٢٥٥).

١٠ - إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (ت ٤٧٨ هـ) قال في كتابه «الإرشاد» ما نصه[١]: «الاستواء القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة إذ العرب تقول استوى فلان على الممالك إذا احتوى على مقاليد الملك واستعلى على الرّقاب» اهـ.

١١ - الإمام عبد الرحمن بن محمد الشافعي المعروف بالمتولي (ت ٤٧٨هـ) قال في كتابه «الغنية» في دفع شبهة من منع تفسير الاستواء بالقهر ما نصه[٢]: «فإن قيل الاستواء إذا كان بمعنى القهر والغلبة فيقضي منازعة سابقة وذلك محال في وصفه. قلنا: والاستواء بمعنى الاستقرار يقتضي سبق الاضطراب والاعوجاج وذلك محال في وصفه» اهـ.

١٢ - اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) قال في كتابه «المفردات» ما نصه[٣]: «ومتى عُدّي - أي الاستواء - بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]» اهـ.

١٣ - الشيخ الفقيه أبو حامد الغزالي الشافعي (ت ٥٠٥هـ) قال في كتابه «إحياء علوم الدين» عندما تكلم عن الاستواء ما نصه[٤]: «وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء» اهـ.

١٤ - المتكلم أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي (ت ٥٠٨هـ) قال في كتابه «تبصرة الأدلة» بعد أن ذكر معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء ما نصه[٥]: «فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد منه استولى على العرش الذي هو أعظم المخلوقات» اهـ.

(١) الإرشاد (ص/ ٥٩)، وقال مثل ذلك في كتابه «لمع الأدلة» (ص/ ١٠٨).
(٢) الغنية (ص/ ٧٨).
(٣) المفردات في غريب القرءان (ص/ ٢٥١).
(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٢٨).
(٥) تبصرة الأدلة (١/ ١٨٤) وانظر كتابه «بحر الكلام» (ص/ ١١٥).

١٥ - الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٥١٤هـ) الذي وصفه الحافظ عبد الرزاق الطَّبَسي بإمام الأئمة[١] قال في كتابه «التذكرة الشرقية» ما نصه[٢]: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] قهر وحفظ وأبقى» اهـ.

١٦ - القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد المالكي قاضي الجماعة بقُرْطُبة المعروف بابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ) قال ما نصه: «والاستواء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] معناه استولى» اهـ، ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»[٣] موافقًا له ومقرًّا لكلامه.

١٧ - العلامة الفقيه الأصولي أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي (توفي في أوائل القرن السادس الهجري) قال ما نصه[٤]: «ووجه ذلك أن الاستواء قد يُذكر ويراد به الاستقرار وقد يذكر ويراد به الاستيلاء فيحمل على الاستيلاء دفعًا للتناقض، وإنما خص العرش بالذكر تعظيمًا له كما خصه بالذكر في قوله تعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة التوبة] وإن كان هو رب كل شيء» اهـ.

١٨ - الحافظ الكبير محدث الشام المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ): قال ما نصه[٥]:

خلق السماء كما يشاء بلا دعائم مستقلة

لا للتحيز كي تكو

---

(١) نقل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص/ ١٦٧).

(٢) نقله الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «الإتحاف» (٢/ ١٠٨).

(٣) المدخل (٢/ ١٤٨).

(٤) التمهيد لقواعد التوحيد (ص/ ٦٤).

(٥) انظر مقدمة كتابه «تبيين كذب المفتري» (ص/ ٢) للكوثري.

ن لــــذاتـــه جـــهـــة مـــقـــلـــة

رب عـــلـــى الـــعـــرش اســـتـــوى

قـــهـــرًا ويـــنـــزل لا بـــنـــقـــلـــة

١٩ - المفسّر فخر الدين الرازي الشافعي (ت ٦٠٦هـ) قال في تفسيره ما نصه(١): «فثبت أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ» اهـ، وقال في موضع ءاخر ما نصه(٢): «قال بعض العلماء: المراد من الاستواء الاستيلاء» اهـ، وقال في كتابه «أساس التقديس»(٣): «وإذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار فوجب أن يكون المراد هو الاستيلاء والقهر وهذا مستقيم على قانون اللغة قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق» اهـ.

٢٠ - الشيخ المتكلم سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي (ت٦٣١هـ) ذكر في كتابه «أبكار الأفكار»(٤) أن تفسير الاستواء بالاستيلاء والقهر هو من أحسن التأويلات وأقربها.

٢١ - الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (ت ٦٦٠هـ) في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز»(٥).

٢٢ - الشيخ الفقيه الأصولي المفسر شهاب الدين أحمد القَرافي المالكي(٦) (ت ٦٨٤هـ).

٢٣ - المفسر القاضي أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ وقيل ٦٩١هـ) قال في تفسيره «أنوار التنزيل»

---

(١) التفسير الكبير (سورة الرعد: م٩/ ج١٨/ ص٢٣٨).
(٢) التفسير الكبير (سورة طه: م١١/ ج٢٢/ ص٧).
(٣) أساس التقديس: الفصل التاسع والعشرون (ص/ ١١٩).
(٤) أبكار الأفكار (١/ ٢٣٢)، مخطوط.
(٥) الإشارة إلى الإيجاز (ص/ ١١٠).
(٦) شرح المحصول (١٣/ ٢٤٣ و٢٧٢).

ما نصه[1]: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف] استوى أمره أو استولى» اهـ.

٢٤ - المفسر أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ وقيل ٧٠١هـ) قال في تفسيره «مدارك التنزيل» ما نصه[2]: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه] استولى، عن الزجاج» اهـ.

٢٥ - اللغوي محمد بن مكرّم الإفريقي المصري المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ) قال في كتابه «لسان العرب» من غير أن يتعرض لتفسير ءاية الاستواء ما نصه[3]: «استوى استولى وظهر» اهـ.

٢٦ - المحدّث الفقيه ابن المعلم القرشي (ت ٧٢٥هـ): ذكر في كتابه «نجم المهتدي» معاني الاستواء وأن منها الاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة، ولم يعترض على هذا التفسير، نقله الكوثري في تعليقه على «الأسماء والصفات»[4].

٢٧ - الشيخ أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل الكلابي الحلبي الشافعي (ت ٧٣٣هـ) قال في رسالته التي ألّفها في نفي الجهة عن الله ردًّا على ابن تيمية ما نصه: «والاستواء بمعنى الاستيلاء» اهـ، نقله التاج السبكي في «طبقاته»[5].

٢٨ - القاضي محمد بن إبراهيم الشافعي الشهير ببدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) قال في كتابه «إيضاح الدليل» ما نصه[6]: «فقوله تعالى ﴿ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ يتعين فيه معنى الاستيلاء والقهر لا القعود والاستقرار» اهـ.

---

(١) أنوار التنزيل (م٢/ ج٣/ ص١٢).
(٢) مدارك التنزيل (٣/ ٤٨).
(٣) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).
(٤) تعليق الكوثري على «الأسماء والصفات» (ص/ ٤٠٦).
(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٤٩).
(٦) إيضاح الدليل (ص/ ١٠٣).

٢٩ - الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري المغربي المالكي المعروف بابن الحاج (ت ٧٣٧هـ) كان من أصحاب العلامة الولي العارف بالله الزاهد المقرئ ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى ونفعنا به ذكر في كتابه «المدخل»[١] كلام ابن رشد الجد الذي ذكرناه ءانفًا مؤيدًا وموافقًا له.

٣٠ - الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الشافعي المعروف بابن اللبان (ت ٧٤٩هـ) في كتابه «إزالة الشبهات»[٢].

٣١ - القاضي عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ) في كتابه «المواقف»[٣].

٣٢ - الإمام الفقيه الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) قال في كتابه «السيف الصقيل» ما نصه[٤]: «فالمقدم على هذا التأويل - أي تأويل الاستواء بالاستيلاء - لم يرتكب محذورًا ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه» اهـ.

٣٣ - اللغوي المفسر أحمد بن يوسف الشافعي المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) قال في كتابه «عمدة الحفاظ» ما نصه[٥]: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] أي استولى» اهـ.

٣٤ - القاضي محمود بن أحمد القونوي الحنفي المعروف بابن السّراج (ت ٧٧٠هـ ويقال ٧٧١هـ) كما في كتابه «القلائد»[٦].

---

(١) المدخل (٢/ ١٤٨).

(٢) إزالة الشبهات (ص/ ١٠٣).

(٣) المواقف (ص/ ٢٩٧).

(٤) السيف الصقيل (ص/ ٨٧).

(٥) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٧٦).

(٦) القلائد شرح العقائد (ص/ ٦٨)، مخطوط.

٣٥ - اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ) قال في كتابه «بصائر ذوي التمييز» عند ذكر معاني الاستواء ما نصه[١]: «بمعنى القهر والقدرة ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف] ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]» اهـ.

٣٦ - الشيخ الفقيه تقي الدين الحصني الشافعي (ت ٨٢٩هـ) قال في كتابه «دفع شُبه من شَبَّه وتمرد» في معرض بيان معنى الاستواء في اللغة ما نصه[٢]: «ومنها الاستيلاء على الشيء» اهـ.

٣٧ - الفقيه الأصولي كمال الدين محمد بن عبد الواحد الحنفي المعروف بابن الهُمَام (ت ٨٦١هـ) قال في كتابه «المسايرة» ما نصه[٣]: «فأما كون المراد أنه - أي الاستواء - استيلاؤه على العرش فأمر جائز الإرادة» اهـ.

٣٨ - الشيخ محمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) أحد مشايخ السيوطي قال في كتابه «التيسير» ما نصه[٤]: «أما التأويل في العرف فهو صرف اللفظ إلى بعض الوجوه ليكون ذلك موافقًا للأصول كما إذا قال القائل الظاهر أن المراد من الاستواء في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] هو الاستيلاء بما لاح لي من الدليل فذلك تأويل برأي الشرع» اهـ.

٣٩ - المحدث الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت ٨٧٩هـ) قال في حاشيته على «المسايرة» ما نصه[٥]: «أجاب أهل الحق بأن الاستواء مشترك بين معان... والمعنى الأليق الاستيلاء» اهـ.

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/١٠٦ - ١٠٧).
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد (ص/٩).
(٣) المسايرة (ص/٤٥ - ٤٦).
(٤) التيسير في قواعد علم التفسير (ص/١٢٥).
(٥) حاشية ابن قطلوبغا على المسايرة (ص/٤٦).

٤٠ - الشيخ كمال الدين محمد بن محمد الشافعي المعروف بابن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ) شارح كتاب «المسايرة» لابن الهمام الذي مرّ ذكره، ووافقه على التأويل باستولى[١].

٤١ - الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) قال في كتابه «الكنز المدفون»[٢] ما نصه: «خص - أي الله - الاستواء عليه - أي العرش - وهو استواء استيلاء، فمن استولى على أعظم المخلوقات استولى على ما دونه» اهـ.

٤٢ - الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (ت ٩٢٣هـ) كما في شرحه على البخاري[٣].

٤٣ - القاضي الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري المصري الشافعي (ت ٩٢٦هـ) كما في كتابه «غاية الوصول شرح لب الأصول»[٤].

٤٤ - الشيخ أبو الحسن علي بن محمد المنوفي المالكي المصري (ت ٩٣٩هـ) قال في كتابه «كفاية الطالب»[٥] ما نصه: «معنى استوائه على عرشه أن الله تعالى استولى عليه استيلاء ملك قادر قاهر، ومن استولى على أعظم الأشياء كان ما دونه منطويًا تحته، وقيل الاستواء بمعنى العلو أي علو مرتبة ومكانة لا علو مكان» اهـ.

٤٥ - المفسر محمد بن مصطفى الحنفي المعروف بشيخ زاده (ت ٩٥١هـ) كما في حاشيته[٦] على تفسير البيضاوي فقد قال: «ولا يتوهم من استوائه على العرش كونه معتمدًا عليه مستقرًا فوقه بحيث

---

(١) المسامرة في شرح المسايرة (ص/٤٦).
(٢) الكنز المدفون والفلك المشحون (ص/١٢١).
(٣) إرشاد الساري (١٥/٦١٦).
(٤) غاية الوصول (ص/١٥٤) و«الإعلام والاهتمام» (ص/٣٧٢).
(٥) كفاية الطالب (١/٥٢).
(٦) حاشية شيخ زاده (٢/٣٤٥ و٣/٤ و٣/١٠٥ - ٣٠٧).

لولا العرش لسقط ونزل لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى لاتفاق المسلمين على أنه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ [له] وأنه لا يحتاج إلى شيء مما سواه بل المراد من الاستواء على العرش والله أعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف، وخص العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق

من غير سيف ودم مهراق» اهـ

٤٦ - الشيخ يوسف بن عبد الله الأرميوني الشافعي (ت ٩٥٨هـ) في كتابه «القول المعتمد»[١].

٤٧ - المفسّر القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ) في تفسيره «إرشاد العقل السليم»[٢].

٤٨ - الشيخ أحمد بن غنيم النفراوي المالكي الأزهري (ت ١١٢٦هـ) في كتابه «الفواكه الدواني»[٣]، قال ما نصه: «استوى أي استولى بالقهر والغلبة استيلاء ملك قاهر وإلٰه قادر، ويلزم من استيلائه تعالى على أعظم الأشياء وأعلاها استيلاؤه على ما دونه» اهـ.

٤٩ - الشيخ المفسر سليمان بن عمر الشهير بالجمل الشافعي (ت ١٢٠٤هـ) نقل في حاشيته على تفسير الجلالين عن شيخه ما نصه[٤]: «طريقة الخلف التأويل بتعيين محمل اللفظ فيؤولون الاستواء بالاستيلاء» اهـ.

٥٠ - الحافظ اللغوي الفقيه محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ) قال في شرح الإحياء ما نصه[٥]: «وإذا خيف على العامة

---

(١) القول المعتمد (ص/ ٧٠).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ٢٣٢).

(٣) الفواكه الدواني (١ / ٥٩).

(٤) الفتوحات الإلٰهية (٢/ ١٥٧).

(٥) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٦).

لقصور فهمهم عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا الاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء صيانة لهم من المحذور فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة» اهـ.

٥١ - الشيخ محمد الطيب بن عبد المجيد المدعو ابن كيران المالكي (ت ١٢٢٧هـ) في شرحه على «المرشد المعين على الضروري من علم الدين» (١/٤٤٨) مفسرًا الاستواء على العرش بالقهر والغلبة بقوله:

فلما علونا واستوينا عليهم
جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق»

وخص العرش لأنه أعظم المخلوقات، ومن استولى على أعظمها كان استيلاؤه على غيره أحرى» اهـ.

٥٢ - الشيخ أحمد بن محمد المالكي الصاوي (ت ١٢٤١هـ) كما في شرحه على جوهرة التوحيد»[١].

٥٣ - الشيخ إدريس بن أحمد الوزاني الفاسي المولود سنة ١٢٧٥هـ في «نشر الطيب»[٢] قال: «الاستواء يطلق لغة على الاستقرار على الشيء ولكن لا يحمل على ظاهره كما تقول المشبهة بل المراد لازمه الذي هو الاستيلاء بالقهر والغلبة» اهـ.

٥٤ - المحدث أبو عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتي الشافعي الحسيني (ت ١٢٧٦هـ) قال في رسالته «الدرة البهية في توحيد

(١) شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (ص/ ٢٢٢).
(٢) نشر الطيب (١/٤٤٨).

رب البرية» ما نصه[1]: «وقد أوّل الخلف الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش» اهـ.

٥٥ - الشيخ إبراهيم محمد البيجوري الشافعي (ت ١٢٧٧هـ) كما في شرح[2] «جوهرة التوحيد».

٥٦ - الشيخ محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٣٠٦هـ) في كتابه «الهدية العلائية»[3] قال ما نصه: «وقالوا «استوى» بمعنى استولى».

٥٧ - الشيخ محمد بن محفوظ الترمسي الأندنوسي (كان حيًا سنة ١٣٢٩هـ) قال في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾: «فالظاهر من ذلك ليس مرادًا اتفاقًا، ثم السلف يفوضون علم حقيقته على التفصيل إلى الله، والخلف يؤولونه إلى أن المراد من الاستواء الاستيلاء والملك على حد قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق»[4] اهـ.

٥٨ - الشيخ الفقيه المفسر المتكلم محمد نووي الشافعي الجاوي (ت ١٣١٦هـ) في تفسيره[5].

٥٩ - شيخ الأزهر في مصر الأستاذ سليم البشري (ت ١٣٣٥هـ): قال في فتوى له نقلها الشيخ سلامة العزامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «فرقان القرءان»[6]: «إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما هو رأي الخلف» اهـ.

---

(١) الدرة البهية في توحيد رب البرية (ص/ ٣٠)، ضمن رسائل في بيان عقائد أهل السنة.
(٢) تحفة المريد (ص/ ٩٢).
(٣) الهدية العلائية (ص/ ٢٨٠).
(٤) انظر كتابه «موهبة ذي الفضل» (٢/ ٥٠٢).
(٥) التفسير المنير (١/ ٤٢٠ - ٤٢١).
(٦) فرقان القرءان (ص/ ١٠١)، وطبعت أيضًا في أول كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي.

٦٠ - الشيخ طاهر بن محمد الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ) كما في كتابه «الجواهر الكلامية»[١].

٦١ - الشيخ عبد المجيد الشرنوبي المصري الأزهري المالكي (ت ١٣٤٨هـ) كما في شرحه[٢] على «تائية السلوك» وفي «تقريب المعاني».

٦٢ - الشيخ محمد بن محمد خطاب السبكي الأزهري (ت ١٣٥٢هـ) كما في كتابه «إتحاف الكائنات»[٣].

٦٣ - الشيخ عثمان بن حسنين برّي الجعلي المالكي (انتهى المؤلف من شرحه سنة ١٣٦٤هـ) قال في كتابه «سراج الملوك شرح أسهل المسالك» ما نصه: «وتؤول الاستواء على العرش بالقهر والغلبة بمعنى أن الله تعالى مالك للعرش وما حواه».

٦٤ - الشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ): هو مدرس علوم القرءان والحديث في كلية أصول الدين في جامعة الأزهر بمصر قال في كتابه «مناهل العرفان» طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية ما نصه[٤]: «وطائفة المتأخرين يعيِّنون فيقولون إن المراد بالاستواء هنا هو الاستيلاء والقهر من غير معاناة ولا تكلف لأن اللغة تتسع لهذا المعنى» اهـ.

٦٥ - الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ): كان وكيل مشيخة الإسلام بالاستانة، ووافق في «تكملة الرد على نونية ابن القيم»[٥] الحافظ الفقيه السبكي على تأويل الاستواء بالاستيلاء.

---

(١) الجواهر الكلامية (ص/ ٢٥ و٢٧).

(٢) شرح تائية السلوك (ص/ ٢٩)، تقريب المعاني (ص/ ١٧).

(٣) إتحاف الكائنات (ص/ ٣٥ وما بعدها).

(٤) مناهل العرفان (ص/ ٤٨٥).

(٥) تكملة الرد على نونية ابن القيم (ص/ ٨٦ - ٨٧)، وانظر تعليقه على «الأسماء والصفات» (ص/ ٤١٢) للبيهقي.

٦٦ - الشيخ سلامة القضاعي العزامي (ت ١٣٧٦هـ) كما في كتابه «البراهين الساطعة»[١]، ورسالته «فرقان القرءان»[٢].

٦٧ - كتاب العقيدة الإسلامية: التوحيد من الكتاب والسنة[٣].

٦٨ - الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف سابقًا (مصر)[٤].

٦٩ - الشيخ حسين بن عبد الرحيم مكي في كتابه «مذكرات التوحيد»[٥].

٧٠ - وكذا في كتاب «مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم»[٦] بدولة الإمارات العربية المتحدة.

٧١ - قال الشيخ محمد حامد مدرس وخطيب جامع السلطان بحماه في كتابه «ردود على أباطيل»[٧]: «وإن استواء الله على عرشه يجري فيه مذهبان للسلف والخلف، فالسلف يفوّضون معناه إلى الله تعالى مع التنزيه، والخلف يؤولونه بالاستيلاء على العرش وهو أعظم المكونات، فهو إذن مستولٍ على غيره بالأولى من غير استعصاء سابق لا من العرش ولا من غيره» اهـ.

٧٢ - الشيخ عبد الكريم المدرس إمام وخطيب جامع الأحمدي والمدرس في الحضرة الكيلانية ببغداد في كتابه «الوسيلة»[٨].

٧٣ - الشيخ العلامة المحدث عبد الله الهرري المعروف بالحبشي الشافعي قال في شرح العقيدة الطحاوية ما نصه[٩]: «يُفهم

(١) البراهين الساطعة (ص/ ٢٤٩ وما بعدها).
(٢) فرقان القرءان (ص/ ١٠١).
(٣) انظر الكتاب (١/ ١٦٧).
(٤) مجلة الأزهر: مقاله «الرحمٰن على العرش استوى» الحلقة ١ (ص/ ٣٠ - ٣١)، الحلقة ٢ (ص/ ٣٢).
(٥) مذكرات التوحيد (ص/ ٨).
(٦) مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم (ص/ ٤٨٥).
(٧) ردود على أباطيل: القسم الثاني (ص/ ١٣).
(٨) الوسيلة في شرح الفضيلة: (ص/ ٤٨٩).
(٩) إظهار العقيدة السنية (ص/ ٢٠٠).

من الاستواء القهر والاستيلاء إذ هو أشرف معاني الاستواء وهو مما يليق بالله تعالى لأنه وصف نفسه بأنه قهار، فلا يجوز أن يترك ما هو لائق بالله تعالى إلى ما هو غير لائق بالله تعالى وهو الجلوس والاتصال والاستقرار» اهـ.

بيان

أن كلمة «ثُمَّ» تأتي بمعنى المهلة والتراخي كما تأتي بمعنى الإخبار

قال علماء اللغة والنحو إن لفظة «ثُم» تأتي للتراخي والمهلة وتأتي للإخبار، فيصح في اللغة أن يقال: أنا أعطيتك يوم كذا كذا وكذا ثم أعطيتك قبل ذلك كذا وكذا فإن «ثم» ليست دائمًا للتأخر في الزمن أحيانًا تأتي لذلك وأحيانًا تأتي لغير ذلك قال الشاعر[1]:

إنَّ مَــن سَــادَ ثُــمّ سَــادَ أبُــوه
ثُــمّ قــد سَــادَ قَــبْــل ذلــك جَــدُّه

فإن «ثم» هنا بمعنى الإخبار والمراد أن الجدَّ وابنه وابن ابنه حصلت لهم السيادة.

قال اللغوي الفيومي في «المصباح المنير» ما نصه[2]: «قال الأخفش هي بمعنى الواو لأنها استعملت فيما لا ترتيب فيه نحو والله ثم والله لأفعلنّ، تقول: وحياتك ثم وحياتك لأقومنّ، وأما في الجمل فلا يلزم الترتيب بل قد تأتي بمعنى الواو نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة يونس]، أي والله شاهد على تكذيبهم وعنادهم فإن شهادة الله تعالى غير حادثة، ومثله ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١٧﴾﴾ [سورة البلد]» اهـ.

---

(١) انظر «الموضح في التفسير» (ص/ ١٢٠) للسمرقندي، الكواكب الدرية (ص/ ٥٤٤) للأهدل.

(٢) المصباح المنير (ص/ ٣٣).

وقال اللغوي الفيروزابادي في «القاموس» ما نصه[1]: «الثالث: المهلة، أو قد تتخلف كقولك أعجبني ما صنعتَ اليوم ثم ما صنعتَ أمسِ أعجبُ لأن «ثم» فيه لترتيب الإخبار ولا تراخي بين الإخبارَينِ» اهـ.

(١) القاموس (ص/ ١٤٠٢)، وانظر: البرهان في علوم القرءان (٤/ ٢٩٣) للزركشي.

بيان

معنى قوله تعالى:
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾

قال الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف].

قال أهل الحق: إن صفات الله تعالى أزلية وإن الله لا تحل به الحوادث أي لا تحدث له صفة لم تكن لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، وقد بيَّنا سابقًا أن «ثم» تأتي بمعنى المهلة أي التأخّر في الزمن كما تأتي بمعنى الترتيب في الإخبار. فإذا كان الأمر كذلك فتُحمل هذه الآية أي قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ على معنى يليق بالله تعالى، فإما أن يقال استوى على العرش بلا كيف أي بلا جلوس واستقرار ومحاذاة وغيرها من صفات الأجسام، وإما أن يشتغل بتأويلها فيقال: من حمل كلمة «ثم» من أهل السنة على التراخي جعل الاستواء صفة فعل أي أن الله فعل في العرش فعلًا سماه استواءً لا أن ذلك الفعل قائم بذات الله تعالى لاستحالة قيام الحوادث به.

ومن حمل كلمة «ثم» من أهل السنة على معنى الإخبار يقول إن «ثم» في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ ليست للترتيب في الحدوث والوقوع والحصول إنما هي للترتيب في الإخبار أي أن الله يخبرنا بأنه خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم يخبرنا بأنه قاهر للعرش الذي هو أعظم منهما، نظير ذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ

ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ [سورة يونس]، مع أن شهادته أي اطّلاعه وعلمه أزلي.

قال الإمام الماتريدي في «تأويلاته»[1] في تفسير قول الله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾: «أي وقد استوى على العرش» اهـ أي أن الله كان مستويًا على العرش قبل وجود السمٰوات والأرض.

وهذا الذي ذهب إليه المفسّر القرطبي في تفسيره فقد قال ما نصه[2]: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة] «ثم» لترتيب الإخبار لا لترتيب الأمر في نفسه» اهـ، وقال في تفسير ءاية السجدة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٤﴾﴾ ما نصه[3]: «وليست «ثم» للترتيب وإنما هي بمعنى الواو» اهـ.

وقال شيخ القراء بسمرقند أبو نصر أحمد بن محمد (توفي بعد الأربعمائة) في كتابه «الموضح» عند تعداد معاني «ثُم» ما نصه[4]: «وبمعنى «قَبْل» مثل قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف]، وقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الصافات]، وأنشد الفراء:

إنّ من سَاد ثُم سَاد أبوه
ثُم ساد قبل ذلك جدُّه» اهـ

وقال المفسّر أبو حيان الأندلسي في تفسيره[5]: «قال ابن عطية: «ثم» هنا لعطف الجمل لا للترتيب» اهـ.

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «إيضاح الدليل»[6]:

---

(١) تأويلات أهل السنة (٤/ ٤٥١ و٤٥٣)، دار الكتب العلمية.
(٢) الجامع لأحكام القرءان (١/ ٢٥٤).
(٣) الجامع لأحكام القرءان (١٤/ ٨٦).
(٤) الموضح في التفسير (ص/ ١٢٠).
(٥) البحر المحيط: سورة الرعد (٦/ ٣٤٥)، دار الفكر - بيروت.
(٦) إيضاح الدليل (ص/ ١٠٦ - ١٠٧).

«وليس «ثم» هنا لترتيب ذلك بل هي من باب ترتيب الأخبار وعطف بعضها على بعض» اهـ، أي ليس المراد بالآية أن الله لم يكن مستوليًا على العرش ثم استولى عليه بل المراد الإخبار بأن الله خلق السمٰوات والأرض والإخبار بأنه قاهر للعرش.

وقال الشيخ سليمان الجمل في حاشيته[1] على تفسير الجلالين ما نصه: «و«ثُم» للترتيب الإخباري الذكري وليست للترتيب الزماني، فإن استيلاءه تعالى على العرش بالقهر والتصرف سابق على خلق السمٰوات والأرض» اهـ.

وأما المجسمة كابن تيمية وأتباعه الوهابية فحملوا كلمة «ثم» على التراخي ليس على المعنى الذي قال به بعض أهل السنة، بل قالوا - أي ابن تيمية والوهابية - إن الاستواء صفة فعل لكن زعموا أن الاستواء حادث كان بعد أن لم يكن وسيأتي النقل عنهم وحتى يَسْلَموا بزعمهم من تشنيع أهل السنة عليهم ابتدعوا بدعة ضالة فزعموا أن صفة الفعل قديمة النوع حادثة الآحاد أي على زعمهم لله على عرشه استواءات عديدة كثيرة لا تحصى فهو لم يزل تحدث في ذاته الحوادث أي استواءات متجددة فالتزموا بقيام الحوادث في ذات الله عزّ وجلّ، وسيأتي الرد عليهم إن شاء الله تعالى. وقولهم هذا باطل لم يقل به سُنيّ، وليس لهم سَلَف إلا الكرامية المجسمة الذين قالوا بحلول الحوادث في ذات الله تعالى اتبعوهم في هذه البدعة الشنيعة وهي إحدى المسائل التي كفّر بها العلماءُ الكرامية.

وما يروى عن ابن عباس من أنه فسَّر الآية بالاستقرار فلم يثبت عنه، فقد رُوي ذلك من طريق سلسلة الكذب وهي رواية محمد بن مروان وهو السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، قال الحافظ البيهقي[2]: كلهم متروكون لظهور الكذب في رواياتهم.

---

(١) الفتوحات الإلٰهية (٣/ ٢٨١).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٤).

بيان

معنى قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]

ليعلم أن الله تبارك وتعالى تمدّح بقوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، والمدح إنما يكون بصفة يمتاز به الممدوح عما لا يكاد يدانيه ولا يساويه ولا يكافئه غيره، فحمْل المجسمة الاستواء على الاستقرار ليس مدحًا في حق الله، ولو استعمل لفظ الاستواء على سبيل المدح في حق من جاز عليه الاستقرار فلا يحمل على الاستقرار ولا يُفهم منه كما في قول الشاعر في بشر بن مروان: [الرجز]

قدِ استوى بِشْرٌ على العراقِ

مِن غير سَيفٍ ودم مُهراق

فليس مدح بشر بن مروان في هذا البيت من حيث إنه جالس في هذا البلد، إنما المدح له لأنه استولى أي قهر وهيمن وسيطر على العراق لأن الجلوس في العراق يشترك فيه الإنسان الشريف والإنسان القوي والإنسان الدنيء والإنسان الضعيف، فلا بد أن يفهم من الاستواء ما يليق بالله تعالى، فالاستواء الذي أثبته القرءان ليس الاستواء الذي تذهب إليه المجسمة، بل الله أراد بالاستواء معنى لائقًا به بلا كيف، فمن اكتفى بهذا فقد سَلِمَ، ومن تأول الآية على معنى القهر والاستواء فقد سَلِم أيضًا، ومن تأوّلها على معنى الجلوس أو الاستقرار فقد هلك وضلّ.

قال الشيخ أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ما نصه: «وليس معنى

قول المسلمين إن الله استوى على العرش هو أنه مماس له أو متمكن فيه أو متحيز في جهة من جهاته، لكن بائن[1] من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفينا عنه التكييف إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى]» اهـ، نقله عنه الحافظ البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»[2]، وكذا قال غيره من العلماء فتنبَّه. وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات حجمًا.

(١) أي لا يشبه خلقه ولا يماسهم.
(٢) الأسماء والصفات (ص/٣٩٦).

بيان

معنى قول الإمام مالك:
«الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول»
وأنه لم يثبت عنه قول: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة»

ليعلم أنه لم يثبت عن مالك ولا عن غيره من السلف بإسناد صحيح أنه قال: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة»، وإنما الصحيح الذي رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»(١) من طريق عبد الله بن وهب ويحيى بن يحيى قال البيهقي: «أخبرنا أبو عبد الله، أخبرني أحمد بن محمّد بن إسمٰعيل بن مهران، ثنا أبي، حدثنا أبو الربيع ابن أخي رِشدِين بن سعد، قال: سمعت عبد الله بن وهب يقول: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله الرحمٰن على العرش استوى كيف استواؤه؟ قال: فأطرق مالك وأخذته الرُّحَضَاءُ(٢) ثم رفع رأسه فقال: الرحمٰن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه، قال: فأُخرج الرجل.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمّد بن الحارث الفقيه الأصفهاني، أنا أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، ثنا أبو جعفر بن زيْرَك البزي، قال: سمعت محمّد بن عمرو بن النضر النيسابوري يقول: سمعت يحيى بن يحيى يقول: كنا عند مالك بن

---

(١) الأسماء والصفات (ص/٤٠٨).

(٢) الرحضاء: هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرًا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض. النهاية (٢/٢٠٨).

أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله الرحمٰن على العرش استوى فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرُّحضاء، ثم قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا». فأمر به أن يخرج. وروي في ذلك أيضًا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن أستاذ مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما». اهـ.

وأما تلك الرواية التي تنسب لمالك فليس لها إسناد صحيح، وإنما يلهج بها المشبهة لأنها وافقت هواهم الذي هو التشبيه لأن اعتقادهم أن استواءه كيفٌ لكن لا نعلمه، وهذا إثبات للكيف لا تنزيه لله عن الكيف.

وقد جوّد الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1] رواية ابن وهب.

ويُروى عن أمّ سلمةَ إحدى زوجاتِ الرّسولِ ويروى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن ومالكِ بن أنسٍ أنهم فَسَّروا استواءَ الله على عرشِهِ بقولهم: الاستواءُ معلومٌ ولا يقالُ كيفٌ والكيفُ غيرُ معقولٍ.

ومعنى قولهم: «الاستواءُ معلومٌ» معناهُ معلومٌ ورودُهُ في القرءانِ أي بأنه مستوٍ على عرشِهِ استواءً يليقُ به، ومعنى «والكيفُ غير معقولٍ» أي الشَّكلُ والهيئةُ والجلوسُ والاستقرارُ هذا غير معقولٍ أي لا يقبلُهُ العقلُ ولا تجوزُ على الله لأنها من صفات الأجسامِ، وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ[2] رضي الله عنه عن الاستواءِ فقال: «استوى كما أخبَرَ لا كما يَخطُرُ للبشرِ».

وأما عبارة «الكيفية مجهولة» أو «الكيف مجهول» فلم تثبت بإسناد صحيح عن أحد من السلف، وهي موهِمَةٌ معنًى فاسدًا وهو أن استواءَ الله على العرشِ هو استواءٌ له هيئةٌ وشكلٌ لكن نحنُ لا

(١) فتح الباري (١٣/٤٠٦).
(٢) دفع شبه من شبّه وتمرد (ص/١٧).

نعلمُهُ وهذا خلافُ مرادِ السلفِ بقولِهم «والكيفُ غيرُ معقول».
وهذه الكلمةُ كثيرةُ الدورانِ على ألسنةِ المشبهةِ والوهابيةِ لأنهم يعتقدونَ أن المرادَ بالاستواءِ الجلوسُ والاستقرارُ أي عند أغلبِهم وعندَ بعضِهم المحاذاةُ فوق العرش من غير مماسة ولا يدرونَ أن هذا هو الكيفُ المنفيُّ عن الله عند السلفِ، ولا يُغتَرُّ بوجودِ هذه العبارةِ في كتابِ «إحياء علوم الدينِ»[1] ونحوهِ ولا يريدُ مؤلفُهُ الغزاليُّ ما تفهمُهُ المشبهةُ لأنَه مُصَرِحٌ في كتبِهِ بأنَّ الله منزهٌ عن الجسميةِ والتحيزِ في المكانِ وعن الحَدّ والمقدارِ لأن الحدَّ والمقدارَ من صفاتِ المخلوقِ قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [سورة الرعد] فالتحيز في المكان والجهة من صفات الحجم والله ليس حجمًا.

وما يوجد في بعض كتب الأشاعرة من هذه العبارة: «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة» غلطة لا أساس لها عن السلف لا عن مالك ولا عن غيره وهي شنيعة لأنها يفهم منها المشبه الوهابيّ وغيره أن الاستواء كيفٌ لكن لا نعلمه مجهول عندنا. وأما من أوردها من الأشاعرة فلا يفهمون هذا المعنى بل يفهمون أن حقيقة الاستواء غير معلوم للخلق مع تنزيههم لله عن الجسمية والتحيز في المكان والجهة. أما الوهابية فإنها تقصد بها ما يناسب معتقدها من أن الله حجم له حيّز. والعجب منهم كيف يقولون إنّ الاستواء على العرش حسيّ ثم يصفونه بالكون مجهولا ولعلهم يريدون بهذا هل هو قعود على شكل تربيع أم على شكل ءاخر.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ما نصه[2]: «وقال ابن اللبان[3] في تفسير قول مالك قوله: «الكيف

---

(١) إحياء علوم الدين مع شرحه إتحاف السادة المتقين (٢/ ٨٠).
(٢) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٨٢).
(٣) في كتابه «إزالة الشبهات» (ص/ ١٠٥) لابن اللبان.

غير معقول» أي كيف من صفات الحوادث وكل ما كان من صفات الحوادث فإثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى، قوله: «والاستواء غير مجهول» أي أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، «والإيمان به» على الوجه اللائق به تعالى «واجب» لأنه من الإيمان بالله وبكتبه» اهـ.

وأما معنى مَن قال مِن الأئمة: «أمرّوها كما جاءت بلا كيف» في بعض النصوص التي ظواهرها إثبات الجسمية أو صفات الجسمية كحديث النزول أي ارْووا اللفظ ولا تعتقدوا تلك الظواهر التي هي من صفات الجسم، فالأئمة مرادهم نفي الجسمية وصفاتِها عن الله أي أن هذه النصوص ليسَ معانيها الجسمية وصفاتها من حركة وسكون لأن الله تعالى نفى الجسمية وصفاتِها عن نفسه بقوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۝١١﴾، وأرادَ الأئمة ردَّ تلك النصوص إلى هذه الآية المحكمة، أما الوهابية فيريدون بذلك إثبات الكيف لله لكن يموهون على الناس بقولهم إن هذه النصوص محمولة على الجسمية وصفاتِ الجسمية لكن لا نعرف كيفية تلك الكيفية.

ولزيادة تفصيل نقول: مراد أهل السنة بقولهم «بلا كيفٍ» ليسَ استواءَ الجلوسِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، فالمحاذاةُ معناهُ كونُ الشّيءِ في مقابلِ شيءٍ، فنحنُ حينَ نكونُ تحتَ سطحٍ فنحنُ في محاذاتِهِ، وحينَ نكونُ في الفضاءِ نكونُ في محاذاةِ السماءِ، والسماءُ الأولى تحاذي السماءَ التي فوقَها، والكرسيُّ يحاذي العرشَ، والعرش يحاذي الكرسيّ من تحت، والله تَعَالَى لا يجوزُ عليهِ أن يكونَ هكذا على العرشِ محاذيًا لهُ فلا يجوزُ أن يكونَ جالسًا عليهِ ولا أن يكونَ مضطجِعًا عليهِ ولا أن يكونَ في محاذاتِهِ إذ المحاذي إما أن يكونَ مساويًا للمحاذَى وإما أن يكونَ أكبر منهُ وإما أن يكونَ أصغر منهُ، وكلُّ هذا لا يصحُّ إلا للشّيء الذي له جِرمٌ ومساحةٌ والذي له جِرمٌ ومساحةٌ محتاجٌ إلى من رَكّبَهُ، والله منزَّهٌ عن ذلك.

قال اللغوي المفسر السَّمين الحلبي في «عمدة الحفاظ» ما نصه[1]: «ويقال شِبْهٌ وشَبَهٌ وشبيهٌ نحو مِثل ومَثَل ومَثيل وحقيقتها في المماثلة من جهة الكيفية كاللون والطعم المشار إليهما بقوله تعالى ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة البقرة]» اهـ.

قال أبو سليمان الخطّابي فيما رواه عنه الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[2]: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلمه أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، فإن الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية» اهـ.

وقال الحافظ السيوطي في «الكنز المدفون» ما نصه[3]: «لا يقال للمعبود كيف هو لأنه يستخبر بكيف عن الهيئة والحال، والله سبحانه لا هيئة له ولا حال» اهـ.

فظهر أن الكيف من صفات المخلوقين، وفيما ذكرناه رد على الوهابية الذين يقولون إن الاستواء له كيفية لكن لا نعلمها.

وأما قول الوهابية: مراد مالك بقوله «الكيف غير معقول» أي لله كَيْف لكن لا نعقله أي لا نعلمه على زعمهم فهو تقوّلٌ عليه ولا أساس له من الصحة، ويرده قول الإمام مالك نفسه «وكيف عنه مرفوع» وهذا ثابت عنه، ومعناه ظاهر وواضح، وهذا تصريح منه بأن الكيف مرفوع عن الله أي منفي عن الله أي لا يوصف بالكيف أي ليس استواء الله على العرش كيفًا أي هيئة كاستواء المخلوقين من جلوس واستقرار. فالعجب من الوهابية عشاق التجسيم كيف يتمسكون بقول مالك «الكيف غير معقول» - ولا حجة لهم في ذلك - مع تحريفهم للمعنى ويتركون قوله الآخر «وكيف عنه مرفوع»

---

(١) عمدة الحفاظ (٢/ ٢٨٧).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٢٩٦).

(٣) الكنز المدفون (ص/ ١٠١).

لهوى في أنفسهم، فظهر بذلك بطلان قولهم[1] «إن معنى قولنا «بدون كيف» ليس معناه أن لا نعتقد لها كيفية بل نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية».

وأما زجر الإمام مالك للرجل بقوله «أنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه» فلأن الرجل سأله بقوله «كيف استوى» أي سأله عن كيفية الاستواء وقد علمتَ أنَّ الله منزه عن الكيف لأن الكيف من صفات المخلوقين.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٩٩) لمحمد العثيمين.

بيان

هل الاستواء صفة ذات أم صفة فعل

قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي (ت ٥٤٣هـ) في «عارضة الأحوذي»[١]: «وأما قوله ينزل ويجيء ويأتي وما أشبه ذلك من الألفاظ التي لا تجوز على الله في ذاته معانيها فإنها ترجع إلى أفعاله. وههنا نكتة وهي أنّ أفعالك أيها العبد إنما هي في ذاتك وأفعال الله سبحانه لا تكون في ذاته وإنما تكون في مخلوقاته فإذا سمعتَ الله يقول أفعل كذا فمعناه في المخلوقات لا في الذات، وقد بيّن ذلك الأوزاعي حين سئل عن هذا الحديث - أي حديث النزول - فقال يفعل الله ما يشاء» اهـ.

قال ابن بطال المالكي في شرحه على «صحيح البخاري» ما نصه[٢]: «اختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل فمن قال هو بمعنى علا جعله صفة ذات وأن الله تعالى لم يزل مستويًا بمعنى أنه لم يزل عاليًا. ومن قال إنه صفة فعل قال إن الله تعالى فعل فعلًا سماه استواء على عرشه لا أن ذلك الفعل قائم بذاته تعالى لاستحالة قيام الحوادث به» اهـ.

وقال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[٣]: «وذهب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إلى أن الله تعالى جل ثناؤه فَعل في العرش فعلًا سماه استواء كما فعل في غيره فعلًا سماه رزقًا ونعمة أو غيرها من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه

---

(١) عارضة الأحوذي (١/ ٤٤٣ - ٤٤٤).
(٢) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٤٩).
(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٠).

جعله من صفات الفعل لقوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف]، و«ثم» للتراخي والتراخي إنما يكون في الأفعال، وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة» اهـ، ثم قال البيهقي بعد أن ذكر عن بعض الأشاعرة أن استوى بمعنى علا ما نصه[1]: «قلت: وهو على هذه الطريقة من صفات الذات، وكلمة «ثُم» تعلقت بالمستَوى عليه لا بالاستواء وهو كقوله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [سورة يونس]» اهـ.

فتبين بذلك أن من قال الاستواء صفة ذات فمراده بالاستواء العلو أي العلو المعنوي لا الحسي بالمسافة وأما المشبهة المجسمة إذا قالوا إن الاستواء صفة ذات يعنون بذلك على زعمهم أنَّ الله يتحرك وينتقل من مكان إلى مكان، تعالى الله عن قولهم وتنزه عما يصفه هؤلاء المبتدعة.

وقال المفسر أبو حيان في تفسيره[2]: «قال سفيان الثوري فعل فعلًا في العرش سماه استواء» اهـ.

وقال الحافظ الفقيه اللغوي تقي الدين السبكي في ردّه على المجسم ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية ما نصه[3]: «وقول ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف] لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء» اهـ، فهذا ذهاب من السبكي إلى أن الاستواء وإن كان صفة فِعلٍ قديمٌ غير حادثٍ كما هو مذهب السلف أبي حنيفة والبخاري وغيرهما فإنهما قالا إن فعل الله صفته في الأزل والمفعول مخلوق، فما أقبح ما تتوهمه الجهلة من أن معنى الآية أن الله خلق السموٰات والأرض وهو أسفل العرش ثم ارتفع وصعد

(١) الأسماء والصفات (ص/٤١١).
(٢) البحر المحيط (٤/٣٠٧).
(٣) السيف الصقيل (ص/٨٧).

إلى العرش واستقر عليه أو في الفضاء بإزائه بلا مماسة عند بعضهم وبمماسة عند بعض، وكلاهما كفر والله منزه عن الأمرين.

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة فصلت] ما نصه[1]: «والاستواء من صفة الأفعال على أكثر الأقوال» اهـ.

---

(١) الجامع لأحكام القرءان (١٥/٣٤٣).

بيان

أنه لا يقال إن الله استوى بذاته

اعلم أنه لم يرد في الكتاب والسنة ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أن الله استوى بذاته على العرش، بل المجسمة هي التي زادت على قول الله عزّ وجلّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [سورة طه] لفظة بذاته، وإنما اتبعوا الوهم وما أَلِفُوه من مشاهدة المخلوقات فقاسوا الخالق على المخلوق.

وقد أنكر الحافظ ابن الجوزي الحنبلي على مجسمة الحنابلة الذين قالوا بذلك والإمام أحمد بريء منهم فقال في كتابه «الباز» ما نصه[1]: «وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا «استوى على العرش بذاته» وهي زيادة لم تنقل إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوي على الشىء إنما تستوي عليه ذاته» اهـ، فالاستواء بالذات من صفات الأجسام لأنه يصاحبه حركة وانتقال وتحيّز فوق العرش والله منزه عن ذلك، تعالى الله عما يقول المشبهة علوًّا كبيرًا.

وقال المفسر أبو حيان في تفسيره[2]: «وأما استواؤه تعالى على العرش فحمَله على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا» اهـ.

---

(١) الباز الأشهب (ص/٥٣).

(٢) النهر الماد (١/٨٠٩).

وقال الإمام أبو نصر القشيري: «لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء فإن البارئ تعالى كان موجودًا قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول «العرش بالرب استوى» أمثل من قول من يقول «الرب بالعرش استوى»، فالرب إذًا موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة» اهـ، نقله الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرحه على الإحياء[1].

وسئل الشبلي عن قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فقال: «الرحمٰن لم يزل، والعرش مُحدَث، والعرش بالرحمٰن استوى» اهـ رواه القشيري في رسالته[2].

قال القاضي بدر الدين بن جماعة في «إيضاح الدليل» عن الذي قال استوى بذاته ما نصه[3]: «فقد ابتدع بهذه الزيادة التي لم تثبت في السنة ولا عن أحد من الأئمة المقتدى بهم» اهـ. ولهؤلاء المشبهة نقول قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ما نصه[4]: «فقد ذكرنا أنَّ لفظة بذاته لا حاجة إليها وهي تُشغب النفوس» اهـ.

ومنه تعلم أن قول المجسم ابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «الصواعق المرسلة»[5]: «قول أهل السنة استوى على عرشه بذاته أي ذاته فوق العرش عالية عليه» اهـ لا أساس له من الصحة عن أهل السنة بل هو قول المجسمة نسبه إلى أهل السنة زورًا وبهتانًا.

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٨ - ١٠٩).
(٢) الرسالة القشيرية (ص/٦).
(٣) إيضاح الدليل (ص/١٠٧).
(٤) سير أعلام النبلاء (١٩/٦٠٧).
(٥) انظر الكتاب (٤/ ١٣٨٥).

بيان

معنى من قال: الله بائن من خلقه

ينبغي أن يُتَنَبَّهَ لمراد من قال من الأئمة «إن الله بائن من الأشياء»، ومن قال منهم «إنه تعالى غير مباين» فإنه ليس خلافًا حقيقيًّا، بل مراد من قال «بائن» أن الله لا يشبه المخلوقات ولا يماسّها، ومراد من قال «ليس مباينًا» نفي المباينة الحسيَّة المسافية، فمن نقل كلام من قال منهم «إنه بائن» وحمله على المباينة المسافية والمحاذاة كابن تيمية فقد باين الصواب وقوّلَ أئمة الحق ما لم يقولوه، فحذار حذار ممن يحمل كلامهم على غير محمله.

قال الحافظ البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» مبيّنا معنى من قال «ولا مباين عن العرش» ما نصه[1]: «يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها، والقيام والقعود من أوصاف الأجسام والله عزّ وجلّ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام، تبارك وتعالى» اهـ.

وقال أيضًا[2]: «وليست البينونة بالعزلة، تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسّة علوًّا كبيرًا» اهـ.

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٠ - ٤١١).

(٢) انظر المصدر السابق (ص/ ٤١١).

بيان

أنه لم يصح عن النبي ﷺ: «الكرسي موضع قدميه»

من القواعد المهمة التي ينبغي معرفتها أن الصفة لله لا تثبت بقول صحابي ولا تابعي إلا بما صحّ من الأحاديث النبوية المرفوعة المتفق على توثيق رواتها، فلا يحتج بالضعيف ولا بالمختلف في توثيق رواته. فمن هنا يعلم أن الحديث الذي يُروى عن ابن عباس مرفوعًا: «كرسيه موضع قدميه» والذي تلهث المجسمة في ذكره لإثبات بزعمهم قدمين لله يضعهما على الكرسي لم يثبت لأنه حديث ضعيف كما نص على ذلك الحفاظ.

قال الذهبي في «الميزان» في ترجمة شجاع بن مَخْلد الغلّاس ما نصه[1]: «أخطأ شجاع في رفعه» اهـ، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ما نصه[2]: «صدوق، وهِم في حديث واحد رفعه وهو موقوف، فذكره بسببه العقيلي» اهـ.

وقال الحافظ ابن الجوزي في «الباز الأشهب» ما نصه[3]: «رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس ورفعه منهم شجاع بن مخلد، فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط، ومعنى الحديث: أن الكرسي صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير» اهـ، أي أن الكرسي حجمه صغير بالنسبة للعرش.

---

(١) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٦٥).

(٢) تقريب التهذيب (ص/ ٣١٤).

(٣) الباز الأشهب (ص/ ١٣١ - ١٣٢).

وقد روى البيهقي[1] عن ابن عباس: «الكرسي موضع القدمين» من غير إضافة، وكذا قاله أبو موسى الأشعري من غير إضافة أي لم يقولا «قدميه» بهاء الضمير، قال البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[2]: «وتأويله عند أهل النظر مقدار الكرسي من العرش كمقدار كرسي يكون عند سرير قد وضع لقدمي القاعد على السرير، فيكون السرير أعظم قدرًا من الكرسي الموضوع دونه موضعًا للقدمين، والخبر موقوف لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ» اهـ.

وقال الحافظ السيوطي في تفسيره[3]: «هذا على سبيل الاستعارة تعالى الله عن التشبيه، ويوضحه ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم» اهـ.

فليس لله تعالى صفة القدمين يضعهما على الكرسي ولم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء، فالعجب من المجسمة كيف يقولون إن الله يضع قدميه على الكرسي ولا مستند لهم من ءاية أو حديث، ولو ثبت أن الكرسي موضع القدمين لكان معناه أن الكرسي صغير بالنسبة للعرش، وعلى هذا يحمل ما جاء عن ابن عباس.

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٣٥٤).
(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٣٥٤).
(٣) الدر المنثور (٢/ ١٧).

بيان

أن الوهابية يقولون صفات الله مخلوقة
وأن الله تحل في ذاته الحوادث والعياذ بالله تعالى
وأن الاستواء صفة مخلوقة، تعالى الله عن قولهم

اتفق أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى أزلي، واتفقوا أيضًا على أن صفاته أزلية بأزلية الذات لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات، واتفقوا أيضًا أن ذات الله عزّ وجلّ لا تحل به الحوادث، وخالف في ذلك الكرامية المبتدعة فقالوا إن الله تحدث في ذاته الحوادث واتبعهم ابن تيمية شبرًا بشبر ثم جاء الوهابية وأخذوا هذه العقيدة من ابن تيمية.

وقد رد أهل السنة على الكرامية وفضحوهم نصرة للحق ولتحذير الناس منهم ومن كان على معتقدهم، فقد ذكر ابن التلمساني شيئًا من معتقدات الكرامية الفاسدة التي تبنَّاها ابن تيمية، فقال الشيخ شرف الدين ابن التلمساني في شرح لمع الأدلة للجويني ما نصه[1]: «وخالف إجماع الأمة طائفة نبغوا من سِجستان لقّبوا بالكرامية نسبة إلى محمد بن كرَّام، وزعموا أن الحوادث تطرأ يعني تتجدد على ذات الله، تعالى عن قولهم، وهذا المذهب نظير مذهب المجوس. ووجه مضاهاته لمذهب المجوس أن طائفة منهم تقول بقدم النور وحدوث الظلمة، وأن سبب حدوثها أن يَزْدَان فَكَّر فكرة فَحَدَثَ منها شخص من أشخاص الظلمة فأبعده وأقصاه وهو هُرمز وجميع الشر ينسب إليه. وكذلك الكرامية تزعم أن الله تعالى إذا

---

(١) شرح لمع الأدلة (ص/ ٨٠ - ٨١)، مخطوط.

أراد إحداث محدَث أوجد في ذاته كافًا ونونًا وإرادة حادثة، وعن ذلك تصدر سائر المخلوقات المباينة لذاته» اهـ.

وقال الإمام أبو المظفر الأسفراييني ما نصه[1]: «ومما ابتدعوه - أي الكرامية - من الضلالات مما لم يتجاسر على إطلاقه قبلهم واحد من الأمم لعلمهم بافتضاحه هو قولهم بأن معبودهم محل الحوادث تحدث في ذاته أقواله وإرادته وإدراكه للمسموعات والمبصرات، وسموا ذلك سمعًا وتبصرًا، وكذلك قالوا: تحدث في ذاته ملاقاته للصفحة العليا من العرش، زعموا أن هذه أعراض تحدث في ذاته، تعالى الله عن قولهم» اهـ.

فتبين مما أوردناه أن ابن تيمية ليس له سلف إلا الكرامية ونحوهم، وليس كما يدعي أنه يتبع السلف الصالح، ومن المصيبة أن يأخذ مثل ابن تيمية بمثل هذه الفضيحة فمذهبه خليط من مذهب ابن كرَّام واليهود والمجسمة، نعوذ بالله من ذلك.

وقد أجاب الإمام الحجة الأسفراييني في دحض هذه الفرية بقوله[2]: «اعتقاد أهل السنة والجماعة أن تعلم أن الحوادث لا يجوز حلولها في ذاته وصفاته لأن ما كان محلًّا للحوادث لم يخل منها، وإذا لم يخل منها كان محدَثًا مثلها، ولهذا قال الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [سورة الأنعام] بيَّن به أن من حلَّ به من المعاني ما يغيره من حال إلى حال كان محدَثًا لا يصح أن يكون إلـٰهًا» اهـ.

فيكون بهذا ما توسع به ابن تيمية في كتبه من تجويز قيام الحوادث به تعالى وحلولها فيه خارجًا عن معتقد أهل السنة والجماعة أهل الحق.

---

(١) التبصير في الدين (ص/ ١١٢ - ١١٣).

(٢) التبصير في الدين (ص/ ١٦٠ - ١٦١).

فائدة: قال سيف الدين الآمدي في كتاب «غاية المرام» في علم الكلام ما نصه[1]: «فالرأي الحق والسبيل الصدق والأقرب إلى التحقيق أن يقال لو جاز قيام الحوادث به لم يخل عند اتصافه بها إما أن توجب له نقصًا أو كمالا أو لا نقص ولا كمال، لا جائزٌ أن يقال بكونها غيرَ موجبة للكمال ولا النقصان فإن وجود الشىء بالنسبة إلى نفسه أشرف له من عدمه، فما اتصف بوجود الشىء له وهو مما لا يوجب فوات الموصوف ولا فوات كمال له، وبالجملة لا يوجب له نقصًا فلا محالة أن اتصافه بوجود ذلك الوصف له أولى من اتصافه بعدمه لضرورة كون العدم في نفسه مشروفًا بالنسبة إلى مقابله من الوجود، والوجود أشرف منه، وما اتصف بأشرف الأمرين من غير أن يوجب له في ذاته نقصًا تكون نسبة الوجود إليه مما يرجع إلى النقص والكمال على نحو نسبة مقابله من العدم، ولا محالة من كانت نسبته إلى ذلك وجود ذلك الوصف أشرف منه بالنسبة إلى عدمه، ولا جائز أن يقال إنها موجبة لكماله وإلا لوجب قدمها لضرورة أن لا يكون البارئ ناقصًا محتاجًا إلى ناحية كمال في حال عدمها، فبقي أن يكون اتصافه بها مما يوجب القول بنقصه بالنسبة إلى حاله قبل أن يتصف بها، وبالنسبة إلى ما لم يتصف بها من الموجودات، ومحال أن يكون الخالق مشروفًا أو ناقصًا بالنسبة إلى المخلوق، ولا من جهة ما كما مضى» اهـ.

قال المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره ما نصه[2]: «تقرر في العقول من أن الله تعالى يستحيل أن يتصل بالانتقال المعهود في غيره تعالى، وأن يحل فيه حادث أو يحل هو في حادث» اهـ.

فالحاصل أن الله تعالى أزلي وصفاته أزلية لا ابتداء لوجودها،

---

(١) غاية المرام في علم الكلام (ص/ ١٩١ - ١٩٢).
(٢) البحر المحيط (١/ ١٣٥).

ولا يزال أبديًّا ولا تزال صفاته أبدية بأبدية الذات، فالقائل بأن الله تعالى تحدث في ذاته إرادات في الأزل والأبد وكلام في الأزل والأبد على التعاقب تحدث بعضها بعد بعضٍ، فإن أراد بذلك أنه يحدث الشىء في ذاته بفعله وبخلقه بعدما كان معدومًا كان ذلك تناقضًا وهو محال لأن ذاته أزلي فيستحيل أن تحدث في ذاته صفة، وإن أراد أن غيره يحدثه فيه فذلك أصرح في القول بأنه حادث وذلك أيضًا محال عقلاً وشرعًا. وإن قال: إنه يحدث ذلك الكلام وتلك الإرادات بلا فاعل أي لم يخلقها هو بنفسه ولا غيره خلقها فيه كان ذلك أيضًا محالا لأن حدوث شىء ما بلا مكونٍ محال عقلًا، قال المقري: [رجز]

لأنَّـــهُ مِـــنَ الـــمُـــحَـــالِ الـــبَـــاطِـــلِ
وُجُـــودُ شَـــيْءٍ مَـــا بِـــدُونِ فَـــاعِـــلِ

فكل من التقديرات الثلاثة يؤدي إلى المحال، وما أدى إلى المحال محال، ومن المعلوم أن دين الله لا يأتي بالمحالات العقلية بل الشرع يأتي بما يجوزه العقل، لأن العقل شاهد للشرع فكيف يناقضه.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي السَّلفي (ت ٣٢١هـ) في عقيدته التي ذكر أنها بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ما نصه: «ما زال - أي الله - بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يَزْدَد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته» اهـ، أي لم يزدد بكون الخلق أي وجودهم شيئًا من الكمال بل كماله أزلي لا يزداد ولا ينقص.

وأما مخالفة ابن تيمية لأهل السنة في هذه المسئلة فيظهر من قوله[1]: «ومن قال: إن الخلق حادث كالهشامية والكرَّامية قال:

---

(١) مجموعة تفسير (ص/٣٠٩).

نحن نقول بقيام الحوادث به، ولا دليل على بطلان ذلك بل العقل والنقل والكتاب والسنة وإجماع السلف يدل على تحقيق ذلك، كما قد بسط في موضعه. ولا يمكن القول بأن الله يدبر هذا العالم إلا بذلك، كما اعترف بذلك أقرب الفلاسفة إلى الحق كأبي البركات صاحب «المعتبر» وغيره» اهـ.

وقال في «المنهاج» ما نصه[1]: «فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل» اهـ.

ثم قال فيه ما نصه[2]: «وقد أخذنا بما في قول كل من الطائفتين من الصواب وعدلنا عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما، فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة، ونصوص القرءان والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه، ولفظ الحوادث مجمل فقد يراد به الأعراض والنقائص والله منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما شاءه ويقدر عليه من كلامه وأفعاله ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة» اهـ.

وقال أيضًا في كتابه «المجموع» ما نصه[3]: «ونظير ذلك أن يقول: لو كان قد استوى على العرش لكان قد أحدث حدثًا وقامت به الحوادث لأن الاستواء فعل حادث كان بعد أن لم يكن، فلو قام به الاستواء لقامت به الحوادث ومن قامت به الحوادث فقد أحدث حدثًا، والله تعالى منزه عن ذلك. فإنه يقال له: الحادث في اللغة

---

(١) انظر الكتاب (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر الكتاب (١/ ٢٢٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٢١٦).

ما كان بعد أن لم يكن، والله تعالى يفعل ما يشاء، فما من فعل يفعله إلا وقد حدث بعد أن لم يكن» اهـ.

أما الوهابية فقد قال أحد أبرز دعاتهم في كتابه المسمى «تعقيبات على كتاب السلفية» ما نصه[1]: «صفات الأفعال والاستواء والنزول والخلق والرزق قديمة النوع حادثة الآحاد» اهـ.

وقال عبد الله بابطين (ت ١٢٨٢هـ) - يصفُهُ الوهابية بأنه مفتي الديار النجدية في عصره - في تعليقه على «لوامع الأنوار» ما نصه[2]: «صفات الله تعالى قسمان: صفات ذاتية كالحياة. . . وصفات فعلية وهي التي تتعلق بمشيئته وحكمته فإن اقتضت حكمته فِعلها فَعلها وإن اقتضت حكمته أن لا يفعلها لم تكن، وهذا مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والكلام والنزول والاستواء وغير ذلك من صفات فعله، فهذا يكون قديم النوع أو الجنس وإن كانت ءاحاده توجد شيئًا فشيئًا وحينًا وءاخَر، ومن المعلوم أنه يوجد الفرق بين صفة الحياة والقدرة مثلًا وبين صفة الاستواء، فإن الأول لا شك أن الله موصوف به أزلا وأبدًا جلّ وعلا، وأما الاستواء فلم يكن إلا بعد خلق العرش، وكذلك صفة نزوله إلى السماء الدنيا» اهـ.

انظروا إلى هذا الضلال الذي يتخبطون فيه، يقولون الاستواء صفة حادثة بعد أن لم تكن، ووالذي أرواحنا بيده لو عاشوا عمر نوح لما استطاعوا أن يأتوا بدليل ثابت عن عالم من علماء السلف أنه يقول بما زعم هؤلاء الوهابية وزعيمهم ابن تيمية، وهذا يدل بكل وضوح على براءة السلف مما تعتقده الوهابية. وزعمهم أن الاستواء قديم النوع حادث الآحاد أي أن الله تعالى على زعمهم لم يزل يخلق عرشًا قبل عرش ويستوي عليه وتحدث في ذاته

(١) انظر الكتاب (ص/ ٣٢).

(٢) تعليقات عبد الله بابطين على «لوامع الأنوار» (١/ ١١٢).

استواءات عديدة، وهذا كلام باطل لا يقوله من عرف معنى التنزيه.

ثم هذه هي عقيدة ابن تيمية المبتدع، فقد نقل عنه الجلال الدواني - وهو عالم مشهور ترجمه الحافظ السخاوي[1] ووثقه - في كتاب شرح العضدية بقوله[2]: «وقد رأيت في بعض تصانيف ابن تيمية القول به - أي بالقدم الجنسي - في العرش» اهـ، أي أنه كان يعتقد أن جنس العرش أزلي أي ما من عرش إلا وقبله عرش إلى غير بداية وأنه يوجد ثم ينعدم ثم يوجد ثم ينعدم وهكذا، أي أن العرش جنسه أزلي لم يزل مع الله ولكن عينه القائم الآن حادث على زعمه.

فإن قيل للوهابية: كم مرة عندكم حصل الاستواء على العرش. فإن قالوا: مرة واحدة، قيل لهم: جعلتم الاستواء صفة حادثة عندكم مخلوقة لأن الاستواء حدث ووجد بعد أن لم يكن وهذا كفر وضلال، وإلا فما معنى زعمكم الاستواء قديم النوع حادث الآحاد فإن النوع واحد - أي الاستواء كان مرة واحدة عندكم على زعمكم - والآحاد واحد؛ وإن قالوا: الاستواء على العرش حصل أكثر من مرة لأننا نقول الاستواء قديم النوع حادث الأفراد، قيل لهم: قد قلتم قولا ما قال به أحد من أهل السنة قاطبة وخرجتم على القرءان والسنة والإجماع وصريح العقل.

(١) الضوء اللامع (٧/ ١٣٣).

(٢) شرح العضدية (ص/ ١٣).

بيان

أنّ الوهابية يقولون الله جالس على العرش ومستقر عليه، والعياذ بالله من الكفر

بعض الوهابية يزعمون أن هذا محض افتراء عليهم وأنه لا يوجد في كتبهم هذه العقيدة الكفرية، فنقول لهؤلاء إن هذا ثابت عنكم ومما صرح به بعضكم، وهي عقيدة المجسم المبتدع ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، ومنه أخذها تلميذه المجسم المبتدع ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، وكذا الوهابية المجسمة أخذوها من ابن تيمية، فلنثبت أوّلا عقيدة ابن تيمية وتلميذه من كتبهما ثم عقيدة الوهابية من كتبهم.

قال ابن تيمية ما نصه[1]: «وإذا كان قعود الميت في قبره ليس هو مثل قعود البدن، فما جاءت به الآثار عن النبي ﷺ من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهما أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد» اهـ.

نقول: وهذا كذب على النبي ﷺ وعلى الصحابة فلا يثبت عن أحد منهم ذلك.

وقال في تفسير سورة العلق ما نصه[2]: «ومن ذلك حديث عبد الله ابن خليفة المشهور الذي يروى عن عمر عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختاره. وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلي

---

(١) انظر شرح حديث النزول (ص/ ١٥١)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٥٢٧).
(٢) مجموعة تفسير (ص/ ٣٥٤ - ٣٥٥)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٤٣٤ وما بعدها).

وابن الجوزي وغيرهم، لكن أكثر أهل السنة قبلوه، وفيه قال: إن عرشه أو كرسيه وسع السمٰوات والأرض، وإنه يجلس عليه فما يفضل منه قدر أربعة أصابع - أو ما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع - وإنه ليئط به أطيط الرَّحْل الجديد براكبه» اهـ.

ثم قال ما نصه[1]: «وهذا وغيره يدل على أن الصواب في روايته النفي، وأنه ذكر عظمة العرش، وأنه مع هذه العظمة فالرب مستو عليه كله لا يفضل منه قدر أربعة أصابع، وهذه غاية ما يقدر به في المساحة من أعضاء الإنسان» اهـ.

فليُنظر إلى قوله: «يدل على أن الصواب في روايته النفي» أي على زعمه أن رواية النفي وهي «لا يفضل من العرش شىء» أصح من رواية «أنه ما يفضل منه إلا أربع أصابع»[2].

ثم قال ما نصه[3]: «ومن قال «ما يفضل إلا مقدار أربع أصابع» فما فهموا هذا المعنى فظنوا أنه استثنى فاستثنوا فغلطوا، وإنما هو توكيد للنفي وتحقيق للنفي العام، وإلا فأي حكمة في كون العرش يبقى منه قدر أربع أصابع خالية، وتلك الأصابع أصابع من الناس، والمفهوم من هذا أصابع الإنسان، فما بال هذا القدر اليسير لم يستو الرب عليه» اهـ.

وقال في المنهاج ما نصه[4]: «وأما قوله إنه يفضل عنه من العرش من كل جانب أربع أصابع فهذا لا أعرف له قائلًا ولا ناقلًا، ولكن روى في حديث عبد الله بن خليفة أنه ما يفضل من العرش أربع أصابع يروى بالنفي ويروى بالإثبات، والحديث قد طعن فيه غير واحد من المحدثين كالإسماعيلي وابن الجوزي، ومن

(١) مجموعة تفسير (ص/٣٥٨).
(٢) مجموعة تفسير (ص/٣٥٦ - ٣٥٧).
(٣) مجموعة تفسير (ص/٣٥٩).
(٤) انظر المنهاج (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).

الناس من ذكر له شواهد وقوّاه، ولفظ النفي لا يَرِدُ عليه شيء فإن مثل هذا اللفظ يَرِدُ لعموم النفي كقول النبي ﷺ: «**ما في السماء موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد**» أي ما فيها موضع، ومنه قول العرب «ما في السماء قدر كفٍّ سحابًا» وذلك لأن الكف يقدر به الممسوحات كما يقدر بالذّراع، وأصغر الممسوحات التي يقدر بها الإنسان من أعضائه كف فصار هذا مثلًا لأقل شيء. فإذا قيل: إنه ما يفضل من العرش أربع أصابع كان المعنى ما يفضل منه شيء والمقصود بيان أنه أعظم وأكبر من العرش، ومن المعلوم أن الحديث إن لم يكن النبي ﷺ قاله فليس علينا شيء، وإن كان قاله فلم يجمع بين النفي والإثبات، فإن كان قاله بالنفي لم يكن قاله بالإثبات، والذين قالوه بالإثبات ذكروا فيه ما يناسب أصولهم كما بسط في غير هذا الموضع، فهذا وأمثاله سواء كان حقًّا أو باطلًا لا يقدح في مذهب أهل السنة ولا يضرهم» اهـ.

فليُنظر إلى قوله: «ولفظ النفي لا يَرِدُ عليه شيء» كيف يجيز نسبة هذا إلى النبي ﷺ وهو كلامٌ صريحٌ في التجسيم، وانظر أيضًا إلى تجويزه أن يكون الرسول ﷺ قال «يفضل عنه أربع أصابع» الذي هو أقبح من لفظ النفي وإن كان كلا اللفظين يقتضي إثبات المساحة والمقدار لذات الله، وقد قام الدليل العقلي القطعي على استحالة ذلك على الله لأنه يلزم عليه أن يجوز على الله ما يجوز على سائر الأجرام كالشمس من الفناء والتغير وأن يكون مستدير الشكل أو مربعه أو مثلّثه إلى غير ذلك، وهل عرفنا عقلًا أنّ الشمس محدَثةٌ إلا بالشكل ونحوه، فلو كان الله كذلك كما هو مقتضى كلامه هذا لجازت الألوهية للشمس عقلًا، ومحال أن تثبت الألوهية لغير الله تعالى، فما أدّى إلى المحال العقلي وهو الكون ذا مقدار وشكل

محال، فثبت المطلوب وهو تنزه الله تعالى عن المقدار والمساحة والشكل.

ويقول في الفتوى الحموية بعد كلام ما نصه[1]: «وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة» اهـ.

وأما عبارته في فتاويه فإنها صريحة في إثباته الجلوس لله فقال فيه ما نصه[2]: «فقد حدّث العلماء المرضيّون وأولياؤه المقربون أن محمدًا رسول الله ﷺ يجلسه ربه على العرش معه». اهـ.

وقد نقل عنه هذه العقيدة أبو حيّان الأندلسيُّ النحويُّ المفسّر المقرئ في تفسيره المسمى بالنهر قال: «وقرأت في كتاب لأحمد ابن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانًا يُقعد معه فيه رسول الله ﷺ، تحيَّلَ عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه»[3]. اهـ.

ونقل أبي حيان هذا كان قد حذف من النسخة المطبوعة القديمة ولكن النسخة الخطية تثبته. وسبب حذفه من النسخة المطبوعة ما قاله الزاهد الكوثري في تعليقه على السيف[4]: «وقد أخبرني مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدًّا فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجاني أن أسجل ذلك هنا استدراكًا لما كان منه ونصيحة للمسلمين». اهـ.

فلينظر العقلاء إلى تخبّط ابن تيمية حيث يقول مرة إنه جالس على العرش، ومرة إنه جالس على الكرسي، وقد ثبت في الحديث أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة في أرض فلاة فكيف ساغ لعقله.

---

(١) رسالة الفتوى الحموية الكبرى (ص/ ٧٩).

(٢) انظر فتاويه (٤/ ٣٧٤).

(٣) انظر النهر الماد، تفسير ءاية الكرسي.

(٤) انظر السيف الصقيل (ص/ ٨٥).

والأعجب من ذلك نقله قول عثمان الدارمي[1] المجسم عن الله سبحانه وتعالى: «ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السمٰوات والأرض» اهـ، نعوذ بالله من مقت القلوب.

وقال تلميذه ابن قيم الجوزية في كتابه «بدائع الفوائد» ما نصه[2]:

«ولا تنكروا أنه قاعد
ولا تنكروا أنه يقعده» اهـ

ولم يثبت ذلك عن أحد من أئمة السلف ولا عن الدارقطني وإن نسبه إليه هذا المجسم.

أما الوهابية فقد زعم عبد الرحمٰن بن حسن وهو حفيد محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) أن الجلوس من صفات الله، تعالى الله عما يقول المشبّهة علوًّا كبيرًا، وقد أخذ هذا المجسم عقيدة التجسيم من مدرسة جده محمد بن عبد الوهاب المجسم، فقد قال في كتابه المسمى «فتح المجيد» ما نصه[3]: «فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرءان ومعناه حصل معهم فرَق أي خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث **الصفات** انتفضوا كالمنكرين له فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين، قال الذهبي: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «**إذا جلس الرب على الكرسي**» فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها» انتهى كلامه بحروفه.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٥٦٨).
(٢) انظر الكتاب (٤/٤٠).
(٣) انظر الكتاب (ص/٣٥٦).

وما ذكره ليس بحديث عن النبي ﷺ ولا يثبت عن أحد من الأئمة قوله بالجلوس بل هذا من الكذب عليهم، فانظر أيها القارئ كيف يصفون الله تعالى بالجلوس الذي هو من صفات البشر، ويموّهون على الناس بنسبة هذا القول إلى علماء المسلمين لينشروا هذا الاعتقاد الفاسد.

ومن العجب العجاب استشهاده بالكفر في وصف الله بالجلوس وزعمه أنه صفة لله وتركه بالاستشهاد بالمتشابه من الصفات التي وردت في القرءان والسنة كالوجه واليد والعين والغضب ونحوها، وهذا مما يدل على اعتقاده التجسيم، ولا يجديهم نفعًا أن يقولوا أي الوهابية إنه أي حفيد محمد بن عبد الوهاب ينقل عن فلان أو فلان لأن نقله مقرًّا ومستشهدًا في الرد على من ينكر صفات الله كما زعم. وقد جاء على غلاف الكتاب ما نصه «راجع حواشيه وصححه وعلق عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية» اهـ، وابن باز هذا (ت ١٤٢٠هـ) هو زعيم الوهابية لم يعلق على هذا الموضع بالرد والتفنيد والإنكار مع أنه هو وجماعته ينكرون على أهل السنة أمورًا ليست مخالفة للشرع كالاحتفال بمولد النبي ﷺ، واستعمال السبحة (المسبحة) وقول صدق الله العظيم بعد الانتهاء من قراءة القرءان، وقراءة القرءان على الميت، وغيرها، وهذا الكتاب هو من الكتب المعتمدة عندهم في العقيدة يطبعونه ويوزعونه ويعلمونه للناس، انظروا كيف ينشرون الكفر بتشبيههم الله بمخلوقاته، ولا يجديهم نفعًا قولهم جلوس لا كجلوسنا فنسبة الجلوس لله كفر كيفما كان ذلك الجلوس الذي يزعموه فإن الجلوس من صفات المخلوقين.

وقال سليمان بن سحمان النجدي الوهابي (ت ١٣٤٩هـ) في تعليقه

على كتاب «لوامع الأنوار البهية» نقلًا عن ابن تيمية المجسم مقرًّا وموافقًا له - الذي نقل عن المجسم عثمان بن سعيد الدارمي - مقرًّا وموافقًا له ما نصه[1]: «الحيّ القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك» اهـ، فإذا كان هذا الكلام باطلًا عندهم فلماذا لا ينكرونه ويسكتون عليه!!.

فليحذر طالب العلم من هذه الشرذمة المجسمة، ونحمد الله تعالى أن وفَّقنا لعقيدة أهل الحق.

وأما قولهم أي الوهابية بالاستقرار على العرش فهم لا ينكرونه بل يقولونه لفظًا واعتقادًا.

قال أحد زعماء الوهابية في كتابه «شرح العقيدة الواسطية» ما نصه[2]: «فإن سألت ما معنى الاستواء عند أهل السنة والجماعة فمعناه العلو والاستقرار» اهـ، أما أن العلو قال به قسم من أهل السنة فصحيح لا غبار عليه ولا يعنون به علو المسافة كما يزعم الوهابية، لكن زعمه أن أهل السنة قالوا الاستواء هو الاستقرار فكذب محض وفرية بلا مِرية، والله حسيبهم يوم القيامة، وكم لهم من كلام يتقوّلون به على أهل السنة وأهل السنة منهم بريئون مما ينسبون إليهم، وهكذا شأن أهل البدع ينسبون ما هم فيه من ءارائهم ومعتقداتهم الفاسدة إلى أهل السنة والجماعة تسترًا بهم، ولقد قيل:

أظـهـروا لـلـنـاس نُـسـكًـا
وعـلـى الـمَـنْـقُـوش داروا

ومما يدل على افترائهم على أهل السنة قول ناصر الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الوهابي المجسم الذي يعتبرونه مرجعهم في علم

---

(١) التعليق على «لوامع الأنوار» (١/ ٢٦١).
(٢) انظر الكتاب (١/ ٣٧٥ و٩٠).

الحديث - وهو خارجي على أهل الحديث - في كتابه «مختصر العلو»[1]: «نسبة الاستقرار على الله مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده[2] ونسبته إلى الله عز وجل، لذلك ترى الذهبي رحمه الله أنكر على من قال ممن جاء بعد القرون الثلاثة إن الله استوى استواء استقرار» اهـ، وكتاب الذهبي المسمى بـ «العلو» هو عمدتهم فالعجب من الوهابية كيف يقولون بالاستقرار والذهبي - هو صاحب ابن تيمية - ينكره في أكثر من موضع من كتابه[3]، وفي ذلك دليل على أنه لم يثبت عن أحد من علماء السلف القول به، فلا تغتر بكلام الوهابية أو غيرهم ممن يقولون بذلك فإنه مذهب رديء مردود على قائله كائنًا من كان.

وفي كثير من كتب الوهابية يقولون فيها الاستواء هو الاستقرار، فلا نطيل بذكرها، وما أشرنا إليه يكفي لتنبيه اللبيب، نسأل الله السلامة وأن يجنّبنا حرَّ اللهيب.

---

(١) مختصر العلو (ص/١٦).

(٢) هذا لا يخرجه عن دائرة التجسيم فهو يقول بأن الله فوق العرش بذاته كما في «مختصر العلو» (ص/١٧)، وله غير ذلك من الطامات، ويقول: الله محيط بالعالم من كل الجهات كما في كتابه «صحيح الترغيب والترهيب».

(٣) انظر (ص/٣٠٨) عند ترجمة أبي أحمد القصاب، و(ص/٣٣٥) عند ترجمة البغوي.

فصل

في إزالة شبه المانعين من تفسير الاستواء بالاستيلاء

الشبهة الأولى:

يقول أحد مجسمة الوهابية «ما يستند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم أن تفسير استوى باستولى أمر مشهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظ استوى يصح استعمالها بمعنى استولى، بل إن هذا القول منكر عند اللغويين» اهـ.

وقال ءاخر منهم أيضًا: «لم يرد في اللغة العربية أن استوى بمعنى استولى»[1] اهـ.

وقال ءاخر أيضًا: «لم ينقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتد بقولهم»[2] اهـ.

قلنا: يعني هذا الوهابي بـ «المعطلة» من تأوّل من أهل السنة والجماعة الاستواء بالاستيلاء، وهم أي الوهابية والمعتزلة المبتدعة سواء في عدائهم لأهل السنة، فالمعتزلة قالوا عن أهل السنة مجبرة لأنهم أي أهل السنة يقولون كل شيء بقدر ما كان خيرًا وما كان شرًّا والمعتزلة ضد هذه العقيدة يقولون الشر ليس بقدر الله، وهذا كفر والعياذ بالله، وعليهم من الله ما يستحقون.

ومن تناقض الوهابية أنهم يذكرون أن ابن الأعرابي يقول إن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٨١) لمحمد العثيمين.

(٢) الكتاب المسمى «الكلمات الحسان» (ص/ ٢٥٥) لعبد الهادي وهبي.

العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى ثم يذكرون له قولا ءاخر يعارض قوله الأول (انظر الشبهة الرابعة عشرة) مستدلين به على أن الاستيلاء يكون مع مغالبة، وهذا يدل على تهورهم وعدم التثبت وأنهم يقولون ما لا يعقلون.

أما الدليل على أن هذا التفسير سائغ في اللغة فنثبته كالتالي:

قال اللغوي أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ) ما نصه[١]: «ومتى عُدّي - أي الاستواء - بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]» اهـ.

وقال اللغوي أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي[٢] (ت ٢٣٧هـ) ما نصه[٣]: «﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه]: استولى» اهـ، وابن المبارك هذا كان من أصحاب اللغوي المشهور أبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، قال أحمد بن يحيى النحوي[٤]: «ما رأيت في أصحاب الفرّاء أعلم من عبد الله ابن [أبي] محمد اليزيدي - وهو أبو عبد الرحمٰن - وخاصّة في القرءان ومسائله» اهـ.

وقال الإمام المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسيره ما نصه[٥]: «الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه»، ثم ذكر هذه الوجوه ثم قال: «ومنها الاحتياز والاستيلاء، كقولهم: استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها» اهـ.

---

(١) انظر كتابه: المفردات في غريب القرءان (ص/ ٢٥١).

(٢) نسبة إلى يزيد، وهو اسم رجل في أجداد المنتسب إليه، راجع «الأنساب» (٥/ ٦٩١) للسمعاني.

(٣) انظر كتابه: غريب القرءان وتفسيره (ص/ ١١٣).

(٤) انظر إنباه الرواة (٢/ ١٥١) للقفطي.

(٥) جامع البيان (م١/ ج١/ ص١٩٢).

فهذا ابن جرير[(١)] وهو من السلف نص على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء من لغة العرب.

وقال اللغوي أحمد بن محمد بن علي الفيومي (توفي نحو ٧٧٠هـ) ما نصه[(٢)]: «واستوى على سرير الملك كناية عن التملك وإن لم يجلس عليه» اهـ.

وقال اللغوي أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ): «وقالوا معنى استوى استولى»[(٣)] اهـ، وقد ذكره بصيغة الجمع الأمر الذي يدل على أن هذا المعنى كان مقررًا معروفًا عند اللغويين.

وقال اللغوي أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠هـ) ما نصه[(٤)]: «فقول العرب علا فلان فلانًا أي غلبه وقهره كما قال الشاعر:

فلما عَلَونا واستوينا عليهم

تركناهم صرعى لنسر وكاسرِ

يعني غلبناهم وقهرناهم واستولينا عليهم» اهـ، وأبو القاسم هذا يقول فيه الذهبي[(٥)] في «السير»: «شيخ العربية» اهـ، وهذا منه نص صريح بأن العرب تقول استوى بمعنى القهر والغلبة الذي هو الاستيلاء.

وقال اللغوي محمد بن أبي بكر الرازي (كان حيًا سنة ٦٦٦هـ) ما نصه[(٦)]: «واستوى أي استولى وظهر» اهـ.

وكذا قال مثله اللغوي ابن منظور (ت ٧١١هـ) في «لسان العرب»[(٧)]

---

(١) جامع البيان عن تأويل ءاي القرءان (١/ ١٩٢).

(٢) انظر كتابه المصباح المنير (ص/ ١١٣).

(٣) انظر كتابه معاني القرءان (٣/ ٣٥٠).

(٤) انظر كتابه اشتقاق أسماء الله (ص/ ١٠٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥).

(٦) انظر كتابه مختار الصحاح (ص/ ١٣٦).

(٧) لسان العرب (١٤/ ٤١٤).

ومن اللغويين أيضًا الفيروزابادي[1] (ت ٨١٧هـ)، فقد فسَّر الاستواء بالقهر والقدرة في كتابه «البصائر»[2] وبالاستيلاء في كتابه «القاموس»[3].

وقال الشاعر وهو الأخطل (ت ٩٠هـ):

قد استوى بِشْر على العراق
من غير سيف ودمٍ مُهراقِ

أي أنه سيطر على العراق ومَلَكَها من غير حرب وإراقة دماء.

وقال اللغوي الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «شرح الإحياء»[4]: «فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة» اهـ، أي تفسير استوى باستولى.

* أما من احتج بهذا البيت من اللغويين والفقهاء والأصوليين والمفسرين فأكثر من أن يحصى ويحصر بين دفتي هذا المصنف، ولكن نذكر عددًا من أبرزهم وإلا فإنه تغنيك عن البحر مَصَّةُ الوَشَلِ وفي طلعة الشمس ما يُغنيكَ عن زُحَلِ، ومن جملة من احتج به من اللغويين أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمين الحلبي[5] (ت ٧٥٦هـ)، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي[6]، وأبو حيان الأندلسي[7] (ت ٧٤٥هـ)، وخاتمة اللغويين الحافظ محمد ابن محمد الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي[8] (ت ١٢٠٥هـ).

---

(١) انظر كتابيه «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ١٠٦ - ١٠٧)، و«القاموس» (ص/ ١٦٧٣).
(٢) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٠٦ - ١٠٧) دار الكتاب اللبناني - بيروت.
(٣) القاموس (ص/ ١٦٧٣).
(٤) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٦).
(٥) انظر كتابه «عمدة الحفاظ» (٢/ ٢٧٦).
(٦) انظر كتابه «مختار الصحاح» (ص/ ١٣٦).
(٧) انظر تفسيره «البحر المحيط» (١/ ١٣٤).
(٨) انظر كتابه إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٦).

وقال ءاخر:

هما استويا بفضلهما جميعا
على عرش الملوك بغير زُورِ

ذكره اللغوي المفسر أبو حيان في تفسيره[1].

وقال الشاعر:

إذا ما غزى قومًا أباح حريمهم
وأضحى على ما ملكوه قد استوى

ذكره المفسر الحافظ ابن الجوزي الحنبلي في «الباز الأشهب»[2] مستشهدًا به.

وقال ءاخر:

أذكر بلانا بصفينٍ ونُصرتَنا
حتى استوى لأبيك الملك في عدنِ

ذكره الإمام أبو المعين النسفي في «التبصرة»[3].

وقال الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهمُ
تركناهُمُ صرعى لنسر وكاسرِ

وقد استشهد بهذا البيت من اللغويين المفسر أبو حيان الأندلسي[4]، والحافظ محمد مرتضى الزبيدي[5] لكن عنده «مرعى» و«طائر» بدل: «صرعى» و«كاسر»، واللغوي الكبير أبو القاسم الزجاجي[6] (ت ٣٤٠هـ) شيخ العربية.

---

(١) البحر المحيط (٤/ ٣٠٨)، سورة الأعراف.
(٢) الباز الأشهب (ص/ ٥٢).
(٣) تبصرة الأدلة (١/ ١٨٤).
(٤) انظر تفسيره «البحر المحيط» (١/ ١٣٤)، سورة البقرة.
(٥) انظر كتابه «إتحاف السادة المتقين» (٢/ ١٠٦).
(٦) انظر كتابه «اشتقاق أسماء الله» (ص/ ١٠٩).

فهذه أقوال بعض من وقَفْنا على كلامهم من اللغويين المتقدمين والمتأخرين الذين قالوا بأن تفسير الاستواء بالاستيلاء من لغة العرب، فبالتمسك بقول ابن الأعرابي فقط لرد هذا التفسير من دون الرجوع إلى من ذكرنا من أئمة اللغة تحكّم وتعامٍ عن الحقيقة. على أن ابن الأعرابي ليس مجسمًا كالوهابية بل هو يؤول كما أول «العرش» بالمُلك كما نقل عنه الحافظ اللغوي الزبيدي في «شرح القاموس»[(١)] والوهابية تعتبر من يؤول معطلًا.

الشبهة الثانية:

إذا قال لك المجسم (الوهابي): سلَّمنا أن الاستواء في اللغة من معانيها الاستيلاء والقهر، لكن الاستيلاء معناه المغالبة فيلزمكم على هذا أن يكون الله له منازع ينازعه والله لم ينازعه أحد في العرش.

قلنا: الاستواء معناه القهر والغلبة والاستيلاء، وتفسير الاستواء بالاستيلاء لا يقتضي المغالبة لأن المراد به القهر وقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه بأنه القاهر فوق عباده قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام]، وقال ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الرعد].

فإن قالوا: قهر لا يدل على أنه كان مُغَالبًا[(٢)].

قلنا: وكذلك الاستيلاء لا يقتضي أنه كان يتشاجر ويتغالب مع غيره فغلبه الله لأن الاستيلاء المراد به القهر كما ذكرنا.

قال الإمام أبو نصر عبد الرحيم القشيري (ت ٥١٤هـ) في الرد على المجسمة وبعد أن تأول الاستواء بالقهر ما نصه: «ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام]

---

(١) تاج العروس (٤/ ٣٢١).

(٢) يصح بفتح اللام وكسرها.

بذلك أيضًا حتى يقال كان مقهورًا قبل خلق العباد، هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم» اهـ، نقله الحافظ الزبيدي في شرح الإحياء[1].

وقال إمام الحرمين عبد الملك الجويني (ت ٤٧٨هـ) ما نصه[2]: «فإن قيل الاستواء بمعنى الغلبة ينبئ عن سبق مكافحة ومحاولة، قلنا: هذا باطل إذ لو أنبأ الاستواء عن ذلك لأنبأ عنه القهر» اهـ.

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) في تعليقه على «الأسماء والصفات» ما نصه[3]: «من حمله على معنى الاستيلاء حمله عليه بتجريده من معنى المغالبة» اهـ.

نقول: نحن أهل السنة وصفنا الله بما هو لائق به وهو الاستيلاء ومعناه القهر أما المجسمة فوصفوه بما هو غير لائق به وهو الاستقرار وهذا يقتضي سبق الاضطراب والاعوجاج وذلك محال في وصفه تعالى، فما شنعوا به علينا يلزمهم ومنطبق عليهم لأنهم شبهوه بخلقه ووصفوه بما لم يصفه به أحد من أهل السنة لا من السلف ولا من الخلف إلا أن يكون من أسلافهم المجسمة. ويورد عليهم قوله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة النساء] فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك.

ويورد عليهم أيضًا قوله تعالى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴿٢١﴾﴾ [سورة المجادلة]، فهل يقولون إن الله تعالى كان ينازعه ويغالبه الكفار والمشركون ثم صارت الغلبة لله، فإن قالوا هذا منفي عن الله، قلنا: كذلك قولوا في استولى فليس المراد منها المغالبة في حق الله وإن كان ذلك في الغالب إذا أطلقت على البشر، فلذلك

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٨).

(٢) الإرشاد (ص/ ٥٩).

(٣) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٠).

انتبه أحد مجسمة الوهابية ودعاتهم البارزين فقال في كتابه «شرح العقيدة الواسطية» ما نصه[1]: «إن الغالب من كلمة استولى أنها لا تكون إلا بعد مغالبة ولا أحد يغالب الله» اهـ، فعجبًا لهم! فلماذا إذًا يصرون على حمل معنى استولى على المغالبة في جميع استعمالاتها مع أنها تستعمل لغير المغالبة أيضًا.

ومما يدل على أنها تستعمل لغير المغالبة ما قاله أهل اللغة والمفسرون في تفسير قوله تعالى حكاية عن قول المنافقين للكفار ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة النساء]، أي ألم نستول عليكم بالموالاة لكم، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون للمسلمين إذا غنموا أعطونا من الغنيمة وإذا حصل للكافرين ظهور على المسلمين قال المنافقون للكافرين أعطونا مما أصبتم ألم نستحوذ عليكم أي بالاستيلاء والغلبة أي ألم نستول عليكم ونحافظ عليكم وذلك بأننا تمكنّا من قتلكم وأسركم ثم لم نفعل شيئًا من ذلك وأبقينا عليكم ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة النساء] بأن ثبطناهم عنكم.

قال اللغوي الفيروزابادي في «القاموس» ما نصه[2]: «واستحوذ غلب واستولى» اهـ، وقال ابن منظور في «لسان العرب» ما نصه[3]: وقال أبو إسحاق معنى ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ﴿١٤١﴾﴾ ألم نستول عليكم بالموالاة لكم» اهـ. فأهل اللغة عبروا باستيلاء وغلبة المنافقين على الكفار هنا ولم يكن قتال ولا مغالبة ولا شجار ولا منازعة بين الكفار والمنافقين، فهذا دليل على أن الاستيلاء عندهم ليس في كل موارده يكون على معنى المغالبة والمنازعة.

ويقال أيضًا: استحوذ الشيطان على الكفار بمعنى استولى على

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٧٧).
(٢) القاموس (ص/ ٤٢٥).
(٣) لسان العرب (٣/ ٤٨٧).

قلوبهم، قال الله تعالى عن الكفار ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة المجادلة]، قال البغوي في تفسيره[1] عند تفسير هذه الآية: «غلب واستولى» اهـ، وقال اللغوي المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره[2]: «أي أحاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها» اهـ، فهل كان الكفار يتشاجرون وينازعون ويغالبون الشيطان حتى استولى عليهم!.

ومما يدل على أن الاستيلاء يستعمل مجردًا عن المغالبة والمنازعة ما فسَّر به ابن عباس رضي الله عنهما قول الله تعالى إخبارًا عن إبليس ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الإسراء]، قال: «لأستولين عليهم».

والمراد بالذرية ذرية ءادم عليه السلام، ذكره الفرّاء في كتابه «معاني القرءان»[3]، وأسنده ابن جرير في تفسيره[4] عن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وبه فسّر ابن جرير الآية فقال[5]: «يقول لأستولين عليهم، وعن مجاهد قال لأحتوينهم، وعن ابن عباس لأستولينّ، قال ابن زيد لأضلنَّهم. وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد وإذا استولى عليهم فقد أضلهم» انتهى باختصار، والفرَّاء من كبار اللغويين ومشاهيرهم، وابن عباس من فصحاء العرب فهما عبّرا باستيلاء الشيطان على قلوب بني ءادم إلا قليلا منهم وليس ثَمَّةَ منازعة ولا مغالبة بين الشيطان وبين من أضلهم من البشر، وإنما كان استيلاؤه عليهم بالوسوسة والاستمالة إليه ليضلهم ويبعدهم عن طاعة ربهم.

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٣٣٥).

(٢) البحر المحيط (٨/ ٣٣٨).

(٣) معاني القرءان (٢/ ١٢٧).

(٤) و(٥) جامع البيان (م٩/ ج١٥/ ص١١٦ - ١١٧).

وقال اللغوي أبو القاسم الأصبهاني في «المفردات» ما نصه[1]: «احتنك الجراد الأرض أي استولى بحنكه عليها فأكلها واستأصلها، فيكون معناه - يعني قوله تعالى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [سورة الإسراء] - لأستولين عليهم استيلاءَه على ذلك» اهـ، فهل الأرض كانت مغالبة ومنازعة للجراد حتى استولى عليها؟!!.

وقال النحوي اللغوي ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في مقدمة كتابه «التسهيل» ما نصه[2]: «هذا كتابٌ في النحو جعلتُه بعون الله مستوفيًا لأصوله، مستوليًا على أبوابه وفصوله فسمّيته لذلك...» اهـ، فأي مغالبة هنا فليفق المشبهون من غيّهم وفسادهم، وابن مالك هذا غني عن التعريف.

ولا بأس بذكر ما قاله الحافظ السيوطي في كتابه «بغية الوعاة» من الثناء والمدح وبيان مرتبة ابن مالك بين علماء النحو واللغة، ونص عبارته[3]: «إمام النحاة وحافظ اللغة، وكان إمامًا في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرًا لا يجارى وحبْرًا لا يبارَى..» اهـ.

وبعد هذا البيان الشافي لا يسع المنصف إلا أن يتّبع ما جاء في لغة العرب وما أثبته اللغويون، فعندهم أن الاستيلاء ليس في كل موارد استعمالها للمغالبة والمنازعة، وكذلك فليكن تعبير من عبّر من أهل السنة بأن الله استولى على العرش مجردًا عن المغالبة والمنازعة، والاستيلاء المراد به هنا القهر كما سبق بيان ذلك، وبالله التوفيق.

---

(١) المفردات في غريب القرءان (ص/ ١٣٤).
(٢) تسهيل الفوائد (ص/ ١).
(٣) بغية الوعاة (١/ ١٣٠).

ويستدل أيضًا بقول الشاعر:

إنْ هو مستوليًا على أحدٍ
إلا على أضعفِ المجانينِ

وهذا البيت يكثر استشهاد النحاة به في باب المشبهات بـ «ليس» ومعناه أن الشاعر يصف رجلًا بالعجز وضعف التأثير فيقول إنه ليس غالبًا لأحد من الناس ولا مؤثرًا فيه إلا أن يكون ذلك المغلوب والمؤثر عليه من ضعاف العقول، فهذا الاستيلاء قد يحصل من دون مغالبة.

قاصمة:

من العجب أن ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وأتباعهما الوهابية يشتد نكيرهم على تفسير الاستواء بالاستيلاء لأنهم يزعمون أنه يقتضي سبق المغالبة والعجز وكون العرش في ملك غيره ثم صار إليه مع أنهم يقولون: إن الله استولى على جميع خلقه. قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ما نصه[1]: «فلما اتفق المسلمون على أنه يقال استوى على العرش ولا يقال استوى على هذه الأشياء مع أنه يقال استولى على العرش والأشياء» اهـ، وقال في موضع ءاخر ما نصه[2]: «والاستواء مختص بالعرش باتفاق المسلمين مع أنه مستول مقتدر على كل شيء من السماء والأرض وما بينهما» اهـ.

وقال تلميذه ابن قيم الجوزية في كتابه المسمى «بدائع الفوائد» ما نصه[3]: «بل استواؤه على عرشه واستيلاؤه على جميع خلقه من موجبات ملكه وقهره من غير حاجة إلى عرش ولا غيره» اهـ.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٤٥).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/ ٣٩٦).

(٣) انظر الكتاب (٢/ ١٣٦).

والوهابية ينقلون كلام زعيميهما (ابن تيمية وابن قيم الجوزية) موافقين لهم في ذلك كما في الكتاب المسمى «الكلمات الحسان»[1] لأحد دعاة الوهابية وغيره من كتبهم.

فانظروا كيف يعيبون على غيرهم ما هم واقعون فيه، فعلى مقتضى مذهبهم الله كان مغالبًا لخلقه ولم يكونوا في ملكه ثم صاروا إليه، وهذا يهدم عليهم ما أنكروه علينا، وبالله التوفيق.

الشبهة الثالثة:

يقول المانعون بأن قول الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراق
من غير سيفٍ ودم مُهراقِ

١ - لا يُعرف قائله فهو مجهول، فكيف تحتجون بقول مجهول.

٢ - إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة.

٣ - ومنهم من يقول هو شاعر نصراني، فكيف تستشهدون بكلامه.

٤ - ومنهم من يقول هذا البيت أنكره أئمة اللغة.

قلنا: أما الجواب عن المسئلة الأولى فنقول إن علماء اللغة استشهدوا به فقولهم حجة، ولا يضر بعد ذلك أننا لم نعرف قائله، وأهل مكة أدرى بشعابها وكم من أبيات استشهد بها اللغويون ولا يعرف قائلها.

وقد سبق بيان من استشهد به من علماء اللغة. على أن هذا البيت نسبه خاتمة اللغويين الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في شرحه[2] على القاموس» للأخطل (ت ٩٠هـ)، وكذا ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في تاريخه[3] فقال: «وهو الذي أنشد بشر بن مروان قصيدته التي

(١) انظر الكتاب (ص/ ١٩٠).
(٢) تاج العروس (١٠/ ١٨٩).
(٣) البداية والنهاية (٩/ ٢٢٠).

يقول فيها:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق» اهـ

والأخطل كان نصرانيًّا من شعراء العرب المتنصرة، قال فيه الذهبي في «السير»[1]: «شاعر زمانه» اهـ.

وكذلك يستشهد بكلام العرب في الجاهلية مع كونهم عبادًا للأوثان.

وأما المسئلة الثانية والرابعة فيجاب عنها بما أجبنا به في المسئلة الأولى، على أنهم لم يذكروا من قال بأنه مصنوع ولا من أنكره من أئمة اللغة، وغاية ما يذكرونه إنكار ابن الأعرابي لهذا التأويل، وليس في رواية ابن الأعرابي أنه عرض عليه هذا البيت فرده وأنكره، وإذا غاب عن ابن الأعرابي هذا التفسير فقد عرفه غيره من أئمة اللغة، فلا يضر بعد ذلك أن قلنا به، قال الشاعر:

إذا قالت حَذامِ فصدّقوها
فإنَّ القول ما قالتْ حذامِ

وأما المسئلة الثالثة فنقول: إن كتب أئمة اللغة طافحة في الاستشهاد بكلام شعراء الجاهلية وكانوا يعبدون الأوثان والأصنام ويسجدون لهم ويشركون بالله تعالى ولم يمنعهم ذلك من الاستشهاد بكلامهم، بل إن كتب اللغة فيها أيضًا الاستشهاد بكلام الأخطل نفسه، ولا يخفى حاله على ذي عينين، فلا معنى لكلامهم إلا التهويل وتنفير الناس من هذا التأويل السائغ لغة وشرعًا ليوهموا العامة أننا نأخذ عقيدتنا من نصراني وهم أي الوهابية المجسمة أخذوا عقيدتهم من اليهود الذين نسبوا الجلوس لله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/٥٨٩).

وعقيدتنا بحمد الله تعالى ثابتة راسخة هي عقيدة أهل السنة والجماعة مأخوذة من القرءان والسنة وإجماع الأمة، والعقل شاهد لصحة هذه العقيدة وبالله التوفيق.

الشبهة الرابعة:

إذا قال المجسم الوهابي بأن استواء الله على العرش ورد في سبعة مواضع من القرءان، ولم يرد في موضع منها استولى، فلو ساغ تأويلكم لكان عبّر به القرءان.

قلنا: الآيات السبع التي وردت في القرءان هي:

١ - قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف].

٢ - قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة يونس].

٣ - قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الرعد].

٤ - قوله تعالى ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [سورة طه].

٥ - قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الفرقان].

٦ - قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا

تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [سورة السجدة].

٧ - قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥﴾ [سورة الحديد].

وجوابنا عمَّا قالوه هو ما أجاب به الحافظ اللغوي الفقيه تقي الدين السبكي في رده على المجسم ابن قيم الجوزية، ونص عبارته[1]: «وهذا الذي قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد» اهـ.

وماذا يقولون في قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ۝٢٩﴾ [سورة الفتح].

ويقال لهذا المجسم لم يأت لفظ استوى بمعنى جلس أو استقر في هذه المواضع السبعة كما تعتقدون، فكيف تنكرون على غيركم ما أنتم واقعون فيه.

الشبهة الخامسة:

يقول أحد المجسمة «لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزًا ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى» اهـ.

قلنا: هذا المجسم نقله عن ابن تيمية[2] فهو عمدتهم في التجسيم كما علمتَ، ونقول له: لا يجوز تفسير الاستواء بالاستقرار على العرش كما زعمتم لأن الاستقرار من صفات الأجسام باتفاق أهل السنة من السلف والخلف، فقولكم إن الله

(١) السيف الصقيل (ص/٨٦) وانظر أيضًا «إتحاف السادة» (٢/١٠٦).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/١٤٦).

مستقر على العرش تجسيم يمقته من رُزق الفهم، وقد سبق بيان تنزيه الله عن الاستقرار والجلوس، فليراجع.

واعلم أن من الألفاظ الموضوعة في لغة العرب التي تحتمل أكثر من معنى منها أي من هذه المعاني ما هو مستحيل على الله ومنها ما هو لائق وصفه تعالى به، فإذا أطلق على الله هذا اللفظ لا يُحمل إلا على المعنى اللائق به لأنه سبحانه وتعالى موصوف بكل كمال يليق به، مثاله لفظ الاستواء فإن من معانيه القهر والجلوس والاستقرار وغيرها، فالقهر صفة لائقة بالله وقد وصف نفسه بها، أما الجلوس والاستقرار فمن صفات الأجسام، فعندما نقول الله استوى على العرش يحمل على الاستواء اللائق بالله.

وكذلك لفظ القديم إذا أطلق على الله كان المعنى أنه لا بداية لوجوده، فيقال الله قديم، وإذا أطلق على المخلوق كان بمعنى تقادم العهد والزمن قال الله تعالى ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [سورة يس]، فالعرجون هو عِذق النخل وهو شيء في أعلى النخل فإنه إذا مضى عليه زمان ييبس فيتقوس، فالقمر في ءاخره يصير بهيئة ذلك، فهنا القديم جاء بمعنى الشيء الذي مضى عليه زمان طويل.

قال أبو المعين النسفي في كتابه «التبصرة» ما نصه[1]: «وكون الاستيلاء إن كان في الشاهد عقيب الضعف ولكن لم يكن هذا عبارة عن استيلاء عن ضعف في اللغة، بل ذلك يثبت على وفاق العادة، كما يقال عَلِم فلان وكان ذلك في المخلوقين بعد الجهل، ويقال قَدَر وكان ذلك بعد العجز؛ وهذا الإطلاق جائز في الله تعالى على إرادة تحقق العلم والقدرة بدون سابقة الجهل والعجز فكان هذا. على أن اللفظ الموضوع لمعنيين يستحيل أحدهما على

---

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٨٤ - ١٨٥).

الله تعالى ولا يستحيل الآخر يُفهم منه إذا أضيف إلى الله تعالى ما لا يستحيل عليه دون ما يستحيل عليه. ففي اللفظ الذي ما وُضع للضعف بل وُضع لنفاذ السلطنة والتصرف وتثبت فيه سابقة الضعف لا بدلالة اللفظ بل يوافق العادة لأن لا يفهم منه ما يستحيل على الله أولى، والله الموفق» اهـ، فمن أين لهؤلاء أن يقولوا إن العرب لا تستعمل استولى إلا في حق من كان عاجزًا ثم ظهر؟ وما دليلهم على أن استولى وضعت للضعف عند العرب؟ أليس يقال عن مَلِك من الملوك امتد ملكه وسلطانه شرقًا وغربًا إذا دخل بليدة صغيرة استولى عليها؟ أكان ذلك عن ضعف وعجز؟ ثم القهر قد يكون عن عجز وضعف وقد لا يكون، والقهار من أسماء الله عزّ وجلّ، فهو الذي قهر جميع خلقه وجعلهم تحت حكمه وتصرفه ولم يكن ذلك عن عجز منه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

ثم نحن نلزمهم بحجة لا جواب لهم عنها إلا بما هو ينقض ويهدم أصول مذهبهم، فنقول لهم: ماذا تقولون في قول الله تعالى ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة التوبة]، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة البقرة]، وقول رسول الله ﷺ: «**ضحك الله الليلة**» أو: «**عجب من فعالكما**» رواه البخاري[1]. فإن قالوا تحمل على ما يليق بالله تعالى، قلنا: وكذلك الاستيلاء يحمل على ما يليق بالله وهو الاستيلاء المجرد عن المغالبة والعجز والضعف، فإن أبوا فقد تحكّموا أي قالوا قولا لا دليل لهم عليه واتبعوا أهواءهم.

قال الفراء وهو أحد كبار اللغويين في كتابه «معاني القرءان» ما نصه[2]: «و«العجب» وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾﴾ [سورة الحشر].

(٢) معاني القرءان (٢/ ٣٨٤).

من العباد، ألا ترى أنه قال ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة التوبة]، وليس السخري من الله كمعناه من العباد، وكذلك قوله ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿١٥﴾﴾ [سورة البقرة] ليس ذلك من الله كمعناه من العباد» اهـ، ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما، والمراد بالاستهزاء والسخرية أي أن الله يجازيهم على استهزائهم وسخريتهم.

فالحاصل أن الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان بوجه وجب حملها أو جعلها كناية - على حسب موضعها من السياق - عن المعاني التي تجوز عليه سبحانه وتعالى ونفي ما لا يجوز عليه.

الشبهة السادسة:

إن قيل: إن حملتم الاستواء على الاستيلاء لم يبق لذكر العرش فائدة فإن ذلك في حق كل المخلوقات فلا يختص بالعرش.

قلنا: تخصيص العرش بالذكر لتشريفه، إذ إضافة بعض الأشياء إلى الله تعالى تكون لتعظيم ذلك الشيء، كما خص ناقة صالح بالذكر بالإضافة إليه تعالى فقال ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الشمس] مع كون كل النوق متساوية من حيث الملكية لله تعالى.

ويقال أيضًا: فائدة تخصيص العرش بالذكر أنه أعظم مخلوقات الله تعالى حجمًا فيُعلم شمول ما دونه من باب الأولى، فإذا قلنا: الله تعالى قهر العرش معناه قهر كل شيء، فكل المخلوقات لما كانت دون العرش في الحجم كان الاستيلاء عليه استيلاء على جميعها ولا كذلك غيره.

قال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» ما نصه[1]: «وفيما

---

(١) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٢).

كتب إليَّ الأستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرًا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، ومعناه أن الرحمٰن غلب العرش وقهره، وفائدته الإخبار عن قهره مملوكاته وأنها لم تقهره، وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات، فنبه بالأعلى على الأدنى» اهـ.

ومما يدل على عظم حجم العرش ما رواه ابن حبان في صحيحه[1] وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما السمٰوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة مُلقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**».

الشبهة السابعة:

قال بعض الوهابية في رده على بعض علماء أهل السنة ما نصه: «هذا البيت لو صح لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم - يقصد أهل السنة - فإن بِشْرًا هذا كان أخًا لعبد الملك بن مروان وكان أميرًا على العراق فاستوى على سريرها كعادة الملوك ونوابهم يجلسون على سرير الملك مستوين عليه، ولو كان المراد بالبيت الاستيلاء والقهر والملك لكان المستولي على العراق عبد الملك ابن مروان فإن بشرًا نائب له على العراق، ولا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ولم يستقر فيها بأنه استوى عليها فلا يقال استوى أبو بكر على الشام ولا استوى على مصر والعراق» اهـ.

قلنا: عمدة الوهابية في المعتقد هو ابن تيمية، هو أضلهم وأضرّ بهم كما أضر بغيرهم، نعني بذلك ما قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) في طبقاته[2]: «واعلم أن هذه الرفقة أعني المزي والذهبي

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، انظر «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (١/ ٢٨٨) لابن بلبان.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ٤٠٠).

والبرزالي وكثيرًا من أتباعهم أضرَّ بهم أبو العباس بن تيمية إضرارًا بيّنًا، وحمّلهم من عظائم الأمور أمرًا ليس هيّنًا، وجرّهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم، وأوقفهم في دكادك من نار» اهـ، فإذا كان أمر هؤلاء كما وصفهم السبكي وهم من هم فكيف بالشرذمة الوهابية الذين ليس فيهم عالم ولا فقيه ولا محدث استحوذ عليهم الشيطان وزين لهم عقيدة ابن تيمية الباطلة فعكفوا على قراءة كتبه والأخذ منها بلا تمحيص ولا تدقيق فكانوا كالظل له بل زادوا على ضلاله ضلالات والعياذ بالله تعالى.

وهذه الشبهة التي ذكرها هذا المجسم الذي أخذها من ابن تيمية[1] لم يذكر مستنده فيها، وزعمه أنه لا يقال استوى فلان على بلدة كذا إذا استولى عليها ولم يدخلها ولم يستقر فيها. فما الدليل عليه من كلام العرب، وأين نص اللغويون على ذلك، ومن اشترط الإقامة فيها؟ ولقد قيل:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها

بيّنات أبناؤها أدعياء

ألا يقال إذا استولى جيش المَلِك على بلدة ما بأنه استوى على تلك البلدة أي قهر أهلها وغلبهم مع أن مستقره قد يكون في الغرب وتلك البلدة في الشرق. فإذا كان يقال استوى قائد الجيش على تلك البلدة بمعنى قهر أهلها وغلبهم أي استولى عليهم فمن باب أولى أن يكون الذي أرسله وهو ذلك الملك قاهر وغالب لتلك البلدة أي مستولٍ عليها أي استوى عليها.

وزعمه أنه لا يقال استوى فلان على بلدة كذا إذا لم يدخلها ولم يستقر فيها لم يَبْنه على دليل وما بُني على غير دليل فلا حجة فيه

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٦/٣٩٦ - ٣٩٧).

وأخذه ذلك عن ابن تيمية لا يُسعفه وابن تيمية نفسه لم يُقم عليه دليلًا، وقوله ليس بحجة.

فإذا كان الأمر كذلك سقط زعمه أنه لا يقال استولى عبد الملك على العراق وبالتالي سقط زعمه لا يقال استوى بِشْر على العراق. فصح عندئذ القول به.

ويقال أيضًا عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) استولى على العراق بعد قتله مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ أو ٧٢هـ - على اختلاف في ذلك - وكان مصعب واليًا على العراق فوليها من بعده بشر بن مروان (ت ٧٥هـ) ومدحه الشاعر بقوله:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

قال الذهبي في تاريخه «العبر» ما نصه[1]: «واستولى عبد الملك على العراق وما يليها، فأمّر أخاه بشرًا على العراق وبعث الأمراء على الأعمال وجهّز الحجّاج إلى مكّة لحرب ابن الزبير» اهـ، وهذا رد على ما زعمه هذا المبتدع من أنه لا يقال استولى عبد الملك على العراق.

الشبهة الثامنة:

قال أحد مجسمة الوهابية في هذا العصر في كتابه المسمى «الكلمات الحسان» ما نصه[2]: «السادس أنه أتى بلفظة (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة، ولو كان معناه القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السمٰوات والأرض فإن العرش كان موجودًا قبل خلق السمٰوات والأرض فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستول على العرش إلى أن خلق السمٰوات والأرض؟!» اهـ.

وقال مجسم ءاخر منهم: «كلمة استوى قد جاءت بعد «ثم» التي

(١) العبر (١/ ١٨١)، وانظر: الكامل في التاريخ (٤/ ٣٣٦).
(٢) انظر الكتاب (ص/ ٢٥٧).

حقها الترتيب والمهلة» اهـ ثم ذكر مثل قوله حذو النعل بالنعل - وعمدتهم في ذلك ابن تيمية[1] المجسم - وزاد عليه هذا الوهابي استدلاله بحديث البخاري[2] الذي رواه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شىء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شىء ثم خلق السمٰوات والأرض**» بأن العرش خُلق قبل السمٰوات والأرض.

قلنا: يرد عليهما وعلى غيرهما من مجسمة هذا العصر بما يلي:

أوّلًا: لا يلزمنا ما قالوه فإننا نقول إن «ثم» في ءاية الاستواء ليست للترتيب في الحدوث والوقوع بل للترتيب في الإخبار أي أن الله قاهر للعرش قبل خلق السمٰوات والأرض، وقد سبق بيان ذلك مفصَّلًا في باب «بيان أن كلمة «ثم» تأتي بمعنى المهلة والتراخي كما تأتي بمعنى الإخبار»، وباب «بيان معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۝٥٤﴾» [سورة الأعراف].

ثانيًا: الحديث الذي ذكره حجة عليه وهو قوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شىء غيره، وكان عرشه على الماء**»، قال المفسر ابن الجوزي الحنبلي في «النُّزهة» ما نصه[3]: «كان معناه في الأصل وقع ووجد» اهـ، فهل يزعمون أن الله وجد بعد أن لم يكن! فإن قالوا: كان في الأول تفيد الأزلية وفي الثاني الحدوث بعد العدم، قلنا: وكذلك قولوا كلمة «ثم» في ءاية الاستواء تفيد الإخبار، فإن منعوا ذلك فليأتوا ببيّنة، وعلينا البيان وعلى الله التكلان.

وقد روى البخاري في صحيحه[4] عن سعيد بن جبير قال: «قال

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۝٢٧﴾ [سورة الروم].

(٣) نزهة الأعين النواظر (ص/ ٥١٧).

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير: أول سورة حم.

رجل لابن عباس: إني أجد في القرءان أشياء تختلف عليَّ»، فسأله عن مسائل ومنها قوله: «قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [سورة النساء]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ [سورة النساء]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ [سورة النساء]، فكأنه كان ثم مضى. فقال ابن عباس ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ۝٩٦﴾ سمّى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك» اهـ.

وقال القاضي بدر الدين بن جماعة في كتابه «الإيضاح» ما نصه[1]: «فإن قيل إنما يقال استولى لمن لم يكن مستوليًا قبل أو لمن كان له منازع فيما استولى عليه أو عاجز ثم قدر؟

قلنا: المراد بهذا الاستيلاء القدرة التامة الخالية من معارض، وليس لفظة «ثم» هنا لترتيب ذلك بل هي من باب ترتيب الأخبار وعطف بعضها على بعض» اهـ.

الشبهة التاسعة:

قال الوهابية[2]: الاستواء هو العلو وهو علو الذات، قال مجاهد: استوى علا، وقال أبو العالية ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٩﴾ [سورة البقرة] ارتفع، وقال ابن جرير: استوى علا وارتفع.

قلنا: الاستواء قد يراد به العلو، والعلو على وجهين: علو مكان وعلو معنى أي علو قدر والذي يليق بالله هو علو القدر لا علو المكان لأنه لا شأن في علوّ المكان إنما الشأن في علو القدر، ألا ترون أن حملة العرش والحافين حوله هم أعلى مكانًا من سائر عباده وليسوا أفضل خلق الله بل الأنبياء الذين مكانهم تحت أفضل منهم، ولو كان علو المكان يستلزم علو القدر لكان الكتاب الذي

---

(١) إيضاح الدليل (١/١٠٦ - ١٠٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/١٧٨، ٣٩١، ٣٩٥)، وغيرها من مؤلفاتهم.

وضعه الله فوق العرش وكتب فيه: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[1] مساويًا لله في الدرجة على قول أولئك، ولكان اللوح المحفوظ على قول بعض العلماء إنه فوق العرش ليس دونه مساويًا لله في الدرجة بحسب ما يقتضيه زعمهم، فعلى هذا المعنى يحمل تفسير مجاهد لقول الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] بعلا على العرش كما رواه البخاري[2].

وقال الحافظ الفقيه تقي الدين السبكي في رده على المبتدع ابن قيم الجوزية ما نصه[3]: «أسماء الله قديمة، فإن لزم من العلي والأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم» اهـ. قلنا: ومن قال بقدم العالم فهو كافر إجماعًا.

وقال في موضع ءاخر[4]: «قال ابن القيم «تركيب استوى مع حرف الاستعلاء نص في العلو بوضع كل لسان» نص في العلو أما في الذات فلا، فقولك استوى قيس على العراق لا يستلزم أن يكون إذ ذاك في العراق بل ملكه فيها وعليها» اهـ.

وقد أوهموا أن ابن جرير أراد بالعلو علو الذات والارتفاع بالمسافة وهذا محض افتراء يُرد عليهم بكلام ابن جرير نفسه فإنه حمل العلو على علو الملك والسلطان ونزه الله عن الحركة والانتقال، ونص عبارته في تفسيره[5]: «فقُل علا عليها علوَّ ملك وسلطان لا علوّ انتقال وزوال» اهـ.

وقال عند تفسير ءاخر ءاية الكرسي ما نصه[6]: «وأما تأويل قوله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [سورة البروج].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء.

(٣) السيف الصقيل (ص/٨٨).

(٤) السيف الصقيل (ص/١٣٨).

(٥) جامع البيان (م/١/ج/١/ص١٩٢).

(٦) جامع البيان (م/٣/ج/٣/ص١٣).

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴿٢٥٥﴾﴾ [سورة البقرة] فإنه يعني والله العليّ، والعليّ الفعيل من قولك علا يعلو علوًّا إذا ارتفع فهو عالٍ وعليّ، والعليّ: ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته» اهـ.

وقال في موضع ءاخر ما نصه[1]: «﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الرعد]، المتعال المستعلي على كل شىء بقدرته، وهو المتفاعل من العلو مثل المتقارب من القرب والمتداني من الدنوّ» اهـ.

هكذا يفهم العلماء العلو في حق الله عزَّ وجلَّ، فإن علو المكان إنما هو من صفات ذوي الحدوث والإمكان، وجلَّ القديم واجب الوجود عن الأمكنة والحدود. فتعالى الله عما يقول أهل الأوهام المحبوسون في سجون خيالاتهم القاصرة التي لا تدرك من الموجود إلا ما حصرته الحدود ورفعته الأمكنة، فيحكمون على أحكم الحاكمين بأنه من أمثالهم، تعالى الله عما يقول الجاهلون به علوًّا كبيرًا.

وأما قول أبي العالية فمراده كما قال الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات»[2]: «ارتفاع أمره وهو بخار الماء الذي منه وقع خلق السماء» اهـ.

فلا حجة يتمسك بها الوهابية المجسمة بعد ذلك في حمل العلو على العلو الحسي وهو العلو بالذات بالمسافة، تعالى الله عن قولهم.

الشبهة العاشرة:

قال بعض زعماء الوهابية المجسمة إن صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل مذموم وهو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله، قال[3]: «مثاله قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة

---

(١) جامع البيان (م٨/ ج١٣/ ص١١٣).

(٢) الأسماء والصفات (ص/ ٤١٣).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٩٠).

طه]، ظاهر اللفظ أن الله تعالى استوى على العرش استقر عليه وعلا عليه، فإذا قال قائل: معنى استوى استولى على العرش، فنقول: هذا تأويل عندك لأنك حرفت اللفظ عن ظاهره، لكن هذا تحريف في الحقيقة لأنه ما دلّ عليه دليل، بل الدليل على خلافه» اهـ.

قلنا: تسمية هذا المجسم من تأوَّل من أهل السنة ءاية الاستواء بالاستيلاء بأنهم محرفون ليس كما زعم لأن أهل السنة لا ينكرون على من ترك تأويل الآيات المتشابهة مع التنزيه ولا على من تأولها بما هو موافق للغة العرب، بل السلف والخلف ينكرون تفسير الاستواء بالاستقرار لأن هذا تجسيم، فالوهابية هم المجسمة المشبهة الذين وصفوا معبودهم تارة بالاستقرار على العرش وتارة بالجلوس، تعالى الله عما يقول المشبهة علوًّا كبيرًا.

فعلماء التوحيد لا يتكلمون في حق الله اعتمادًا على مجرد النظر بالعقل، بل يتكلمون في ذلك من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ، فالعقل عند علماء التوحيد شاهد للشرع ليس أصلًا للدين، أما الوهابية فلا يتقيّدون بالجمع بين النظر العقلي وبين ما جاء عن الأنبياء على أن النظر العقلي السليم لا يخرج عما جاء به الشرع ولا يتناقض معه، إذ الشرع لا يأتي إلا بمجوَّزات العقل كما هو مقرر عند أهل الحق.

قال الشيخ الفقيه شيث بن إبراهيم المالكي (توفي سنة ٥٩٨هـ) ما نصه[١]: «أهل الحق جمعوا بين المعقول والمنقول أي بين العقل والشرع، واستعانوا في درك الحقائق بمجموعهما فسلكوا طريقًا بين طريقي الإفراط والتفريط، وسنضرب لك مثالا يقرب من أفهام القاصرين ذَكره العلماء كما أن الله تعالى يضرب الأمثال للناس لعلهم يتذكرون فنقول لذوي العقول: مثال العقل العين الباصرة،

---

(١) حَز الغلاصم في إفحام المخاصم (ص/ ٩٤).

ومثال الشرع الشمس المضيئة، فمن استعمل العقل دون الشرع كان بمنزلة من خرج في الليل الأسود البهيم وفتح بصره يريد أن يدرك المرئيات ويفرق بين المبصَرات فيعرف الخيط الأبيض من الخيط الأسود والأحمر من الأخضر والأصفر، ويجتهد في تحديق البصر فلا يدرك ما أراد أبدًا مع عدم الشمس المنيرة وإن كان ذا بصر وبصيرة، ومثال من استعمل الشرع دون العقل مثال من خرج نهارًا جهارًا وهو أعمى أو مغمض العينين يريد أن يدرك الألوان ويفرق بين الأعراض، فلا يدرك الآخر شيئًا أبدًا، ومثال من استعمل العقل والشرع جميعًا مثال من خرج بالنهار وهو سالم البصر مفتوح العينين والشمس ظاهرة مضيئة، فما أجدره وأحقه أن يدرك الألوان على حقائقها، ويفرق بين أسودها وأحمرها وأبيضها وأصفرها.

فنحن بحمد الله السالكون لهذه الطريق وهو الطريق المستقيم وصراط الله المبين، ومن زل عنها وحاد وقع في طريق الشيطان المتشعّبة عن اليمين والشمال، قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام]» اهـ.

ومن هنا يعلم أن المشبهة المجسمة تائهون في المعتقد لأنهم خالفوا الشرع والعقل بقولهم إن الله جالس على العرش، وتارة يقولون إنه مستقر عليه، ومنهم من يقول إن الله ترك مكانًا يجلس فيه معه محمدًا يوم القيامة، وبقولهم إن الله متحيز في مكان فوق العرش بذاته، وبقولهم إن الله يتحرك كل ليلة بنزوله من العرش إلى السماء الدنيا، حتى إن بعض هؤلاء قال إن الله يضع رجله في جهنم لكنها لا تحترق والعياذ بالله تعالى من الكفر، ولهم غير ذلك من أقوالهم التي تدل على التشبيه والتجسيم لقياسهم الخالق على المخلوق، واتباعهم الوهم.

فنحمد الله تعالى الذي جعلنا على منهج أهل السنة والجماعة

الذين تكلموا في أمور التوحيد من باب الاستشهاد بالعقل على صحة ما جاء عن الله وعلى صحة ما جاء عن رسول الله ﷺ.

وقول هذا المجسم: «صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل مذموم» اهـ حق أريد به باطل ليحمل ءاية الاستواء على ظاهرها من الاستقرار ونحوه من صفات الأجسام ليوافق ذلك مشربه الفاسد.

وقد سبق هذا المجسم أسلافه من المجسمة الذين قالوا إن الله جالس ومستقر على العرش، وقد رد عليهم الإمام أبو نصر القشيري ونقله الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» فقال[1]: «قال أبو نصر القشيري في «التذكرة الشرقية»: «فَإِنْ قِيلَ أَلَيْسَ الله يَقُولُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] فَيَجِبُ الأَخْذُ بظَاهِرِهِ، قُلْنَا: الله يَقُولُ أَيْضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ [سورة الحديد]، ويقولُ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ [سورة فصلت] فَيَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ نَأْخُذَ بِظَاهِرِ هَذِهِ الآياتِ حَتَّى يَكُونَ عَلى العَرْشِ وعِنْدَنا ومَعَنا ومُحِيطًا بالعَالَم مُحْدِقًا بهِ بالذَّاتِ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، والوَاحِدُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ بذَاتِهِ في حَالَةٍ وَاحِدَةٍ بِكُلّ مَكانٍ.

قَالُوا: قَولُه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ ۝٤﴾ يَعْني بالعِلْم، و﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ إحَاطَةَ العِلْم، قُلْنَا: وقَوْلُه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ قَهَرَ وحَفِظَ وأَبْقَى» اهـ، انتهى نقل الزبيدي لكلام القشيري.

أي إن قالت المشبهةُ المجسمةُ لنا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ نأخذُ بظاهرِهِ فنقولُ إنهُ هناكَ ونُثبتُ أنهُ ساكنٌ على العرشِ قاعدٌ عليه أو مستقرٌّ، قلنا لهم: الله تعالى قالَ أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۝٤﴾ وقالَ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ۝٥٤﴾ فنحنُ إذًا على زَعمِكُم أخذنَا بظاهرِ هاتينِ الآيتينِ كما أنتم أخذتُم بظاهرِ استوَى فقلتم ساكنٌ فوقُ، فيكونُ الله تعالى على كلامِكُم

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/١٠٨).

معَنَا وعلى العرشِ ومحيطًا بنا وبالعالمِ هكذا كالدَّائرَةِ فهل هذا يصحُّ عندكم؟ فإن حملتُم أنتم تلكَ على ظَاهِرِهَا ونحنُ حملنَا هاتين الآيتينِ على ظاهِرِهِمَا، الله على زَعمِكُم يكونُ بذاتِهِ فوقَ العرشِ ويكونُ بذاتِهِ مع كلّ شخصٍ في الأرضِ ويكونُ كالدّائرةِ المحيطةِ بما فيها فماذا تقولونَ؟ فليسَ لهم جوابٌ، فهل يصحُّ في العقلِ أن يكونَ الله بذاتِهِ فوق وهو بذاتِهِ مع كلّ شخصٍ لأن ظاهرَ قول الله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾ أنه مع هذا بذاتِهِ ومع هذا ومع هذا، وظاهرَ قول الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ أن يكونَ هو كالدّائرةِ تحيطُ بما فيها بما في ضِمنِهَا، فهذا لا يُعقَلُ أي أن يكونَ الشَّيءُ الواحِدُ في أماكنَ متعدّدةٍ بذاتٍ واحدٍ، هذا معنى قولِ أبي نصرٍ القشيريّ رحمَهُ الله وهو حجةٌ مفحمَةٌ قاطعَةٌ.

ثم نقل عنه الزبيدي ما نصه[1]: «وقد نبغت نابغةٌ من الرَّعاع لولا استنزالهم للعوامّ بما يقرب من أفهامهم ويُتصور في أوهامهم لأجللت هذا الكتاب عن تلطيخه بذكرهم، يقولون: نحن نأخذ بالظَّاهر ونحمل الآيات الموهمة تشبيهًا والأخبار الموهمة حدًّا وعضوًا على الظَّاهر ولا يجوز أن نطرّق التَّأويل إلى شيءٍ من ذلك، ويتمسَّكون على زعمهم بقول الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿٧﴾﴾ [سورة ءال عمران]. وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضرُّ على الإسلام من اليهود والنَّصارى والمجوس وعبدة الأوثان لأنَّ ضلالات الكفَّار ظاهرةٌ يتجنَّبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدّين والعوامَّ من طريقٍ يغترُّ به المستضعفون فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلُّوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالأعضاء والجوارح والرُّكوب والنُّزول والاتّكاء والاستلقاء والاستواء بالذّاتِ والتّردُّد في الجهات.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ١٠٩).

فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيُّل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السَّيل وهو لا يدري». اهـ، انتهى نقل الزبيدي.

ومعنى المحسوسات أي الأشياء التي نراها بأعيننا من المخلوقات، فهؤلاء المشبهة يوهمون الناس أن الله مثل ذلك، مثل هذه الأشياء البشرِ والضَّوء ونحو ذلك.

وعلم مما ذكرنا أن صرف اللفظ عن ظاهره فيما ورد من الآيات والأحاديث المتشابهة ليس من قبيل اتباع الهوى والتحكم، بل اتبعنا ما ذكره علماء الأصول من أن التأويل أي إخراج النص عن ظاهره لا يسوغ إلا لدليل عقلي قاطع أو سمعي ثابت، وقد ثبت بالأدلة العقلية أن الله سبحانه وتعالى يستحيل عليه أن يوصف بالاستقرار أو بالجلوس على العرش. فلذلك كان السلف لا يحملون المتشابه على ظاهره، وكانوا يقولون أمروها كما جاءت بلا كيف، فلو كانوا يحملونها على ظاهرها لما قالوا بلا كيف لأن تفسير ظاهرها حينئذ معروف ومعلوم وهو الاستقرار والعلو الحسي وكلاهما يجب تنزيه الله عنهما، فاكتفوا بالإيمان بها وحملها على معنى يليق بالله سبحانه وتعالى.

الشبهة الحادية عشرة:

قال الوهابية[1]: «إن الاستيلاء يكون مع مزايلة المستولي للمستولى عليه ومفارقته، كما يقال: استولى عثمان بن عفان على خراسان، واستولى عبد الملك بن مروان على بلاد المغرب، واستولى الجواد على الأمد، قال الشاعر:

إلا لمثلكَ أو مَن أنت سابقُه
سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأمدِ

(١) انظر الكتاب المسمى «الكلمات الحسان» (ص/٢٦٠).

فجعله مستوليًا عليه بعد مفارقته له وقطع مسافته، والاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشىء الذي يستوي عليه كما في قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ۝٤٤﴾ [سورة هود]. . . وهكذا في جميع موارد اللغة التي خوطبنا بها، ولا يصح أن يقال استوى على الدابة والسطح إذا نزل عنها وفارقها، كما يقال استولى عليها، هذا عكس اللغة وقلب الحقائق، وهذا قطعيٌّ بحمد الله» اهـ.

قلنا: توهّم هذا الوهابي المجسم أنه أقام الحجة على أهل السنة بما زعمه حتى قال: «وهذا قطعي بحمد الله» وما ذكره ليس بقطعي ولا بحجة، وزعمه أن الاستيلاء يكون مع مفارقة المستولي للمستولى عليه وأن الاستواء لا يكون إلا مع مجاورة لا دليل عليه لرد تأويل استوى باستولى لأن الاستيلاء المراد منه القهر كما سبق بيان ذلك، وما ألزمنا به نلزمه بما هو مثله ألا وهو القهر، فالقهر يكون مع مفارقة القاهر وبُعده عن المقهور أي الشىء الذي قُهِر، فيصح أن يقال قهر فلانٌ فلانًا ولو كان بعد مفارقته لأن المعنى غلبه وتمكن منه. ومع ذلك فالوهابي لا ينكر أن من أسماء الله القهار، فالقهر والاستيلاء يصح إطلاقهما بعد مفارقة الشىء والبعد عنه، فأجاز الوهابي الأول ومنع الثاني بلا دليل، بل جعل النصوص القرءانية والحديثية تابعة لرأيه وهواه، فإنه لما كان يعتقد أن الله متحيّز بذاته فوق العرش وجعله مسكنًا له قال ما قاله، فعنده الاستيلاء لا يدل على المجاورة أما الاستواء ففيه معنى المجاورة دائمًا كما زعم أي يريد أن يقول إن الله مجاور للعرش ومحاذ له وقريب منه بالمسافة، وإلا فما معنى المجاورة؟! وسيأتي الرد عليه في هذه المسئلة إن شاء الله تعالى، وهذا دليل ءاخر على أنه جعل النص خاضعًا لرأيه، فليس الاستواء في جميع موارد اللغة فيه معنى المجاورة كما ادعاه، وكأنه أحاط بجميع كلام العرب، سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم.

وأما معنى الاستيلاء في قول الشاعر المذكور ءانفًا فهو بلوغ الغاية، والأمد هو الغاية، وغاية كل شيء منتهاه، والمراد هنا الموضع الذي حُدد لانتهاء السباق، فأيهما سبق صاحبه إلى الغاية فقد استولى عليه، قال ابن منظور في «لسان العرب»[1]: «واستيلاؤه على الأمد أن يَغْلب عليه بسبقه إليه» اهـ.

وقوله: «لا يصح أن يقال: استوى على الدابة والسطح إذا نزل عنها وفارقها» اهـ، يقال له: إن الاستواء هنا هو استواء جسمين يحصل بينهما تماسٌّ ومن أحدهما ارتفاع بالمسافة ليستوي على الآخر، فاستوى هنا بمعنى علا العلوّ الحسّي ومعناه كما ذكرنا، أما استواء الله على عرشه فليس من هذا القبيل لأن الله منزه عن الارتفاع بالمسافة والمكان وأن يمس أو يحس أو يجس، فلذلك لا يقال استوى فلان على الدابة بهذا المعنى أي وهو بعيد عنها، وأما الاستواء على الشىء بمعنى القهر فجائز. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمئاب.

الشبهة الثانية عشرة:

يزعم الوهابية أن لهم دليلًا على أن الاستواء هو الاستقرار، قال محمد العثيمين - وهو من زعمائهم وقادتهم - ما نصه[2]: «فإن سألت ما معنى الاستواء عند أهل السنة؟ فمعناه العلو والاستقرار، وقد ورد عن السلف في تفسيره أربعة معان: الأول: علا. والثاني: ارتفع. والثالث: صعد. والرابع: استقر. لكن (علا) و(ارتفع) و(صعد) معناها واحد، وأما (استقر) فهو يختلف عنها. ودليلهم في ذلك أنها في جميع مواردها في اللغة العربية لم تأت إلا لهذا المعنى إذا كانت متعدية بـ (على) قال الله تعالى ﴿فَإِذَا

(١) لسان العرب (مادة: و ل ي، ١٥/ ٤١٣).
(٢) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٧٥).

ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المؤمنون]، وقال تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف]» اهـ، ويذكر الوهابية أيضًا قوله تعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود].

قلنا: يرد على كلامهم بوجوه:

الأول: لا دليل في هذه الآيات على ما زعموه من أن الله استقر على العرش، بل هم في ذلك ضربوا المثل لله والله يقول ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة النحل] ووقعوا في التمثيل وتشبيه استواء الله على عرشه باستواء البشر على السفينة، وباستواء سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي، وهذا من أبشع التشنيعات.

الثاني: الآيات التي احتجوا بها فيها معنى زائد على الاستقرار: فآية المؤمنون ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴿٢٨﴾﴾ معناها إذا اعتدلت راكبًا في السفينة عاليًا عليها وتمكنت فيها تمكن المستوي على الشىء فاحمد الله تعالى على نعمة الإنجاء.

وكذا يقال: معنى الاستواء في ءاية الزخرف تمكن المستوي على الشىء واستقراره عليه.

وأما ءاية هود فمعناها أن السفينة بعد أن كانت سائرة وقفت وأرست واستقرت على جبل الجودي.

فالاستواء في الآيتين الأولى والثانية تضمنت معنى الارتفاع والعلو والصعود بعد الانخفاض وتمكّن المستوِي من ركوب السفينة وظهور الأنعام والاحتياج إليها، والأولى تضمنت أيضًا معنى الحلول فكانت السفينة ظرفًا ووعاء للمستوي عليها لأنها حوته وأحاطته من كل جوانبها، والثالثة تضمنت معنى التوقف عن الحركة بعد أن كانت سائرة أي صارت ساكنة بعد أن كانت متحركة، فيلزم على استدلال الوهابية بهذه الآيات أن الله كان منخفضًا تحت

العرش والعياذ بالله تعالى - تعالى الله عن قولهم - ثم تحرك وانتقل إلى فوق العرش وسكن فوق وتمكّن عليه لاحتياجه إليه كاحتياج المستوي على السفينة وظهور الأنعام، تعالى الله عما يقول الظالمون الجاحدون المشبهون علوًّا كبيرًا.

الثالث: الاستواء في هذه الآيات هو استواء الأجسام على الأجسام أي الاستواء فيها هو استقرار بحصول تماسّ جسمين: جسم المستَوِي على الشيء (وهو راكب السفينة أو السفينة) وجسم المستَوَى عليه (وهو جبل الجودي أو ظهور الأنعام أو السفينة)، فعلى مقتضى كلام الوهابية استقرار الله على عرشه فيه تماسّ ذات الله عزّ وجلّ مع العرش وهذا كفر وضلال مبين، فإن قالوا هو استقرار بلا مماسّة بل فقط بمحاذاة ومجاورة للعرش وهم يقولون بذلك[(١)] - قلنا وهذا أيضًا تشبيه لله بخلقه ووصفه بصفات الأجسام وهو كفر أيضًا، فتنبه.

الشبهة الثالثة عشرة:

لما كان الوهابية يعتقدون عقيدة التجسيم صاروا يحملون الآيات والأحاديث ويفسرونها على ما تهواه نفوسهم كما هو شأن أهل البدع كالمعتزلة والخوارج الذين يفسرون الآيات والأحاديث بخلاف اللغة والمقرر عند أهل السنة، لذلك قال علماء أهل الحق إن علم الدين لا يؤخذ إلا عن ثقة، والوهابية لما كانوا يعتقدون أن الله عزَّ وجلَّ متحيّز وذاته محاذ للعرش قالوا[(٢)]: «الاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشيء الذي يستوي عليه كما في قوله تعالى ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة هود]، وقوله ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الزخرف]، وقوله ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ

---

(١) كما في الكتاب المسمى «الكلمات الحسان» (ص/ ٢٦٠).

(٢) انظر كتابهم المسمى «الكلمات الحسان» (ص/ ٢٦٠).

﴿٢٨﴾ [سورة المؤمنون]، وهكذا في جميع موارده في اللغة التي خوطبنا بها» اهـ.

قلنا: من أين لهم أن يجزموا أنّ جميع موارد الاستواء في اللغة لا تكون إلا مع مجاورة، وكأنهم أحاطوا بكل كلام العرب والشعراء هيهات هيهات، والذي حملهم على هذا القول هو اعتقادهم أن لله مكانًا ومسكنًا فوق العرش، وكلامهم الذي نقلناه هنا نص صريح في أنهم يقولون إن الله مجاور للعرش، وهذا يقتضي المحاذاة والبعد عن العرش بالمسافة، ولم يقل به أحد من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

ففي «المصباح»[1]: «وجاوره مجاورة إذا لاصقه في السكن» اهـ، وفي «لسان العرب»[2]: وجاور الرجل مجاورة: ساكنه» اهـ، ومن نظر في سائر كتب اللغة والغريب والتفسير يجد أن المجاورة تتضمن معنى المكان والجهة والمسافة، ثم من نص من أئمة اللغة على ما زعموه؟، أليس يقال: استوى فلان على العراق وقد يكون هو بالشام أو بمصر.

ثم الآيات التي استدل بها الوهابية حجة عليهم لأن الاستواء الوارد فيها تضمّن بالإضافة إلى المجاورة معنى الارتفاع بعد الانخفاض بالمسافة وتماسّ جسمين والاحتياج إلى المستوَى عليه. فهل يقولون بكل هذا، فإن أخذوا ببعض ما تضمنه الاستواء من المعاني في هذه الآيات وردُّوا بعضها لأنها لا تليق بالله، قلنا: هذا منكم اعتراف بأن ليس كل معاني الاستواء - ومنها المجاورة - تكون لازمة لجميع موارد الاستواء في اللغة؛ وقولهم إن منها ما لا يليق بالله، قلنا: كذلك المجاورة لا تليق بالله لأنها من صفات الأجسام، فالعرش جسم باتفاق منا ومن الوهابية المجسمة،

---

(١) المصباح المنير (ص/ ٤٤).

(٢) لسان العرب (٤/ ١٥٣).

وزعمهم أن الله مجاور للعرش يلزمهم ثلاث احتمالات - كلها كفر - لا رابع لها، وهي إما أن يكون الله على زعمهم أكبر من العرش أو مثل العرش أو أصغر من العرش، وبأيهم قالوا لزمهم التجسيم لا محالة لأنها كلها من صفات الأجسام، هذا بالإضافة إلى جعلهم الله محدودًا من الجهة العليا من العرش بزعمهم، ويلزمهم احتمالان - وهما كفر - لا ثالث لهما وهما إما أن يكون الله مماسًّا وملاصقًا للعرش، وإما أن يكون منفصلًا عن العرش بالمسافة ومن كان كذلك أي على الاحتمال الثاني يجوز عليه أن يمس العرش ويلاصقه وهذه صفات الأجسام والمخلوقين، فثبت استحالة المسافة بين الله وبين العرش، وهذا الذي ذكرناه قاصم لظهورهم لا مفر منه أي من التشبيه إلى التنزيه إلا بنفي المجاورة أي نفي الجهة عن الله عزَّ وجلَّ.

نسأل الله أن ينور بصائرنا بأنوار الهداية ويجنبنا مسالك الغواية وأن يلهمنا إلى طريق الصواب وأن يرزقنا اتباع الأمرين النيرين السنة والكتاب.

الشبهة الرابعة عشرة:

يستدل الوهابية بكلام أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) وهو من اللغويين وذلك حين سئل: «أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا أعرفه» اهـ، وفي طريق ءاخر: «أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما معنى قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه] قال: هو على عرشه كما أخبر، قال الرجل ليس كذاك هو يا أبا عبد الله إنما معنى قوله ﴿ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾: استولى. فقال ابن الأعرابي: اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشىء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل استولى عليه، والله لا مضاد له، وهو على

عرشه كما أخبر، والاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد» اهـ[1]

قلنا: الاستيلاء الذي يكون بعد مغالبة وضعف وعجز لا يطلق على الله عزَّ وجلَّ بل الله منزه عن ذلك، فهو القوي القاهر، ونسبة العجز والضعف إلى الله كفر مخرج من الدين، فإنكار ابن الأعرابي على من حمل استوى بمعنى استولى على الوجه الذي يكون بعد مغالبة حَقٌّ ولا يقول به أحد من أهل الحق، بل من تأوّل منهم الاستواء بالاستيلاء حمله على المعنى المجرد عن سبق المغالبة، إذ الاستيلاء هو القهر والغلبة، فكما أنه لا يقتضي أن يكون القهر والغلبة بعد مغالبة كذلك نقول في استولى، قال الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۝١٨﴾ [سورة الأنعام]، وقال تعالى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۝٢١﴾ [سورة المجادلة].

وقد تعقب القسطلاني في «الإرشاد» كلام ابن الأعرابي فقال ما نصه[2]: «وفيما قاله نظر فإن الاستيلاء من الولاء وهو القرب، أو من الولاية، وكلاهما لا يفتقر في إطلاقه لمضادّ» اهـ.

وقد بيّنا سابقًا أن الألفاظ المحتملة للكمال بوجه وللنقصان بوجه، الوجه الذي دلّ على معنى الكمال يحمل على المعنى اللائق بالله تعالى وينفى عنه المعنى الذي دل على النقصان. وذكرنا أيضًا أن الاستيلاء يكون من غير سبق مغالبة، وذكرنا من تأول الاستواء بالاستيلاء من علماء اللغة، فليراجع.

والمبتدئ من الطلاب يعرف الخلاف الوارد - وهو كثير - بين الأئمة من نحاة وصرفيين وبلاغيين ولغويين، فإذا كان هذا التأويل

---

(١) انظر «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

(٢) إرشاد الساري (١٥/ ٦١٥) ومثله في «إزالة الشبهات» (ص/ ١٠٤) لابن اللبان.

فيه خلاف فلماذا يصرّ الوهابية على إنكار هذا التأويل وليس ذلك إلا لأنهم مجسمة يعتقدون التجسيم ويشبهون الله بخلقه يزعمون أن الله مستقر على العرش، قالوا بما لم يقل به الصحابة ولا إمام من أئمة السلف المعتبرين لا يقول به إلا مجسم.

فإذا كان الأمر كذلك فالتمسك بما قاله ابن الأعرابي فقط ونبذ كلام غيره من اللغويين تحكّم، أعاذنا الله من أن نتكلم بما لا نعلم أو أن ندعي ما لا نُحسن.

تنبيه: الروايتان اللتان يستدل بهما الوهابية فيهما تعارض من حيث إن الأولى تنفي ما أثبتته الثانية ففي الأولى أنه ليس في اللغة تفسير استوى بمعنى استولى وفي الثانية فيها أنَّ العرب تقول استوى بمعنى استولى، فإن قيل نفيه لعدم اطلاعه على ذلك فلذا قال «لا أعرفه» ثم لمّا علم بوروده في كلام العرب أثبته، قلنا: فما المانع أن يكون خفي عليه أيضًا ورود الاستواء بمعنى الاستيلاء من غير سبق مغالبة.

الشبهة الخامسة عشرة:

إن قال الوهابية: أنتم اتبعتم اليهود حين أمروا أن يقولوا «حطَّةٌ» فبدّلوا، فقالوا: «حنطة».

قلنا: أنتم أولى بهذا الوصف، فإنكم وصفتم الله بالجلوس وهي عقيدة اليهود، وقد أثبتنا ذلك عنكم من كتبكم، وقلتم بالاستقرار وهذا تجسيم، فأنتم من حيث العقيدة اتبعتم اليهود والمشبهة.

ثم إن الاستواء من معانيه الاستيلاء، وقد أقمنا الدليل على ذلك سابقًا، وليس كلمة «حنطة» من معاني «حِطة».

ويقال أيضًا: إن اليهود أمروا بقول «حِطَّةٌ» فبدّلوا هذا اللفظ إلى غيره، وكان ذلك منهم تكبُّرًا واستهزاءً وعنادًا عن قبول الحق، فأين هذا من ذاك.

الشبهة السادسة عشرة:

يقول الوهابية إن تأويل الاستواء بالاستيلاء هو قول المعتزلة وهم فرقة ضالة باتفاق منا ومنكم، فكيف تأخذون بقولهم.

قلنا: لا يضر أنّ المعتزلة وافقونا في هذه المسئلة، فليس كل كلام المعتزلة باطل بل فيه كلام موافق لأهل الحق، فهل يُترك لأجل أن المعتزلة قالوا به؟ فها نحن نقول لا إلٰه إلا الله وهم أي المعتزلة يقولونها بألسنتهم فهل نحرم قول لا إلٰه إلا الله لأجلهم.

قال الشيخ أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» ما نصه[1]: «ونسبتهم هذا التأويل إلى المعتزلة ليس بشيء لأن أصحابنا أوّلوا هذا التأويل ولم يختص به المعتزلة» اهـ.

فما قام على دليل قلنا به، فانظر إلى المقال ولا تنظر إلى من قال.

الشبهة السابعة عشرة:

إذا قال الوهابية: لم ينقل عن السلف هذا التأويل فكيف تقولون به.

قلنا: ولم ينقل عنهم التأويل بالاستقرار ولا يثبت عن واحد من علماء السلف أنه قال به، فأنتم خالفتم السلف، بل ذكرنا سابقًا عن الإمام أبي حنيفة السلفي تنزيه الله عن الاستقرار، وأبو حنيفة هو أحد أئمة علماء السلف، وكذا الذهبي أنكر هذا التفسير، والألباني الوهابي أنكره وهو من أبرز دعاتكم. ونقول: ما ثبت بالدليل الشرعي لا يقال عنه مخالف للسلف وإن لم يقولوا به. بل وذكرنا من علماء السلف من قال بذلك راجع فصل بيان من تأول من علماء أهل السنة الاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر.

---

(١) تبصرة الأدلة (١/ ١٨٤).

الشبهة الثامنة عشرة:

زعم بعض المشبهة أن أهل السنة شبهوا الله بخلقه فقال ما نصه[1]: «لا يُعقل تشبيه أشنع من تشبيه استيلاء الله على عرشه المزعوم باستيلاء بِشر على العراق» اهـ.

قلنا: أنتم الوهابية من شبهتم الله بمخلوقاته فزعمتم أن الله استقر على العرش وهذا تجسيم كما سبق بيان ذلك، ومنكم من يقول بأن الله جالس على العرش وهي عقيدة اليهود لعنهم الله، وليس الاستدلال بقول الشاعر:

قد استوى بِشْر على العراق

تشبيه لاستيلاء الله على العرش باستيلاء بشر كما زعم هذا المجسم بل الاستشهاد بهذا البيت لبيان أن الاستواء يأتي بمعنى الاستيلاء الذي هو القهر والغلبة، وهذا واضح جلي إلا من طمس الله على بصره وبصيرته فصار يتقول على أهل الحق بما هم بريئون منه.

ونظير ما ذكرناه قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» رواه البخاري[2] وغيره، فالرسول ﷺ شبّه رؤيتنا لله من حيث عدم الشك برؤية القمر ليلة البدر، ولم يشبّه الله تعالى بالقمر كما يزعم بعض الجهال فإنهم إذا ذكر لهم هذا الحديث يتوهمون أنَّ الله يشبه القمر وقد صرح بعض العوام بذلك والعياذ بالله تعالى.

ومن نظر في كتب الوهابية عرف كم تحتوي على فساد في الاعتقاد ومخالفة لما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون.

---

(١) انظر كتابه المسمى «الكلمات الحسان» (ص/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل صلاة العصر.

الشبهة التاسعة عشرة:

قال أحد مجسمة الوهابية في رده على أهل السنة ما نصه[1]: «إنه يصح أن نقول على زعمكم - يقصد أهل السنة - أن الله استوى على الأرض والشجر والجبال والإنسان والبعير لأنه (استولى) على كل هذه الأشياء، فإذا صح أن نطلق كلمة (استولى) على شيء صح أن نطلق (استوى) على ذلك الشيء لأنهما مترادفان على زعمكم» اهـ.

قلنا: هذه الشبهة أخذوها من المجسم ابن تيمية[2] فهو عمدتهم في التشبيه والتجسيم. وبما أن كلمة استولى معناها الغلبة والقهر صحّ القول بأن الله استولى على العرش أي قهر العرش وصح القول بأن الله قهر ما دون العرش من باب أولى، فهو سبحانه قاهر العالم كله قاهر الشمس والقمر والنجوم والملائكة والإنس والجن وكل ما دخل في الوجود، ونورد عليهم ما أوردوه علينا فيقال لهم إن الله وصف نفسه بقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ⁽١٨⁾﴾ [سورة الأنعام] فهل يقولون بأن الله قهر الأرض والشجر والجبال والإنسان والبعير أم ينفون ذلك عن الله، فإن نفوه يكونوا وصفوا الله بالعجز وهذا كفر وإن أجازوا ذلك لكن قالوا نمنع إطلاقه على الأشياء الحقيرة والخسيسة أدبًا كأن يقال قهر الكلب والخنزير ونحو ذلك، وبذلك تكون الشبهة انهارت عليهم، وما ألزمونا به هو قول شيخهم وزعيمهم ابن تيمية فقد قال ما تستبشعه النفوس وتستسيغه وتستمرؤه المجسمة فقد نقل موافقًا ومقرًّا قول عثمان بن سعيد الدارمي المجسم في وصف الله ما نصه[3]: «ولو قد شاء لاستقر على ظهر

(١) انظر كتابه المسمى «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٣٨١).
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ١٤٥).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٦٨).

بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السمٰوات والأرض» اهـ، نعوذ بالله من مقت القلوب، فعند ابن تيمية يجوز أن يستقر الله على ظهر بعوضة ءاخذًا ذلك عن المجسمة، فعجبًا لهم كيف يسكتون عن هذا الكفر ويشنعون على أهل السنة تأويلهم الاستواء بالاستيلاء وهو تأويل لا غبار عليه موافق للشرع واللغة ولكن المجسمة تستحسن القبيح وتستقبح الحسن، كفانا الله شرهم.

ونسأل الله تعالى أن يجعل جزاءنا جزيل الثواب، وأن يلطف بنا يوم المآب، إنه على ما يشاء قدير. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى ءاله وصحبه الميامين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر

أ - المصادر المخطوطة:

- **أبكار الأفكار**، للآمدي، ءايا صوفيا - ٢١٦٥ توحيد.
- **تفسير الأسماء والصفات**، لأبي منصور البغدادي، ٤٩٧ راشد أفندي - أنقرة.
- **شرح لمع الأدلة**، لابن التلمساني، أحمد الثالث ٩٨٦٩ .
- **القلائد في شرح العقائد**، للقونوي، البلدية ١٩٦٨ر.
- **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، لابن المعلم القرشي، مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس رقم / ٦٣٨ .

ب - المصادر المطبوعة:

- أ -

- **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار الفكر - بيروت.
- **إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات**، لمحمود السبكي، مطبعة الاستقامة.
- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، لابن بلبان، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **إحياء علوم الدين**، للغزالي، دار الفكر - بيروت.
- **إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات**، لابن اللبان، دار البيان العربي - القاهرة.
- **أساس التقديس في علم الكلام**، للرازي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، للجويني، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، للقسطلاني، دار الفكر - بيروت.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم**، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **الأسماء والصفات**، للبيهقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **إشارات المرام من عبارات الإمام**، للبياضي، مصطفى الحلبي - القاهرة.
- **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، لعز الدين بن عبد السلام، دار المعرفة - بيروت.

- **الإشارة إلى مذهب أهل الحق**، للشيرازي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- **الأشباه والنظائر**، للسيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **اشتقاق أسماء الله**، للزجاجي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **إصلاح الوجوه والنظائر (قاموس القرءان)**، للدامغاني، دار العلم للملايين - بيروت.
- **أصول الدين**، لأبي منصور البغدادي، دار المعرفة - بيروت.
- **إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية**، للهرري، دار المشاريع - بيروت.
- **اعتقاد الإمام أحمد**، لأبي الفضل التميمي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد**، للبيهقي، عالم الكتب - بيروت.
- **الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام**، لزكريا الأنصاري، عالم الكتب - بيروت.
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، للقفطي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **الأنساب**، للسمعاني، دار الجنان - بيروت.
- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، للباقلاني، عالم الكتب - بيروت.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، للبيضاوي، دار الفكر - بيروت.
- **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**، لابن جماعة، دار السلام - مصر.
- **الإيمان**، لابن تيمية، طبعة زهير الشاويش - دمشق.

- ب -

- **الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب**، لابن الجوزي، دار الجنان - بيروت.
- **بحر الكلام**، لأبي المعين النسفي، مكتبة دار الفرفور.
- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- **البدائع والفوائد**، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت.
- **البداية والنهاية**، لابن كثير، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **البرهان في علوم القرءان**، للزركشي، دار الفكر - بيروت.
- **البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة**، لسلامة العزامي، مطبعة السعادة - مصر.
- **البرهان المؤيد**، لأحمد الرفاعي، مكتبة الحلواني - دمشق.
- **بصائر ذوي التمييز**، للفيروزابادي، المكتبة العلمية - بيروت.

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، للسيوطي، دار الفكر.
- **بيان تلبيس الجهمية**، لابن تيمية، مكة المكرمة.

- ت -

- **تأويلات أهل السنة**، للماتريدي، القاهرة.
- **تأويلات أهل السنة**، للماتريدي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، بولاق - مصر.
- **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **التبصير في الدين**، للأسفراييني، عالم الكتب - بيروت.
- **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، للبيجوري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، لابن مالك، دار الكتاب العربي - مصر.
- **تشنيف المسامع**، للزركشي، مكتبة قرطبة - القاهرة.
- **تفسير أبي السعود** = إرشاد العقل السليم.
- **التفسير الكبير**، للرازي، دار الفكر - بيروت.
- **التفسير المنير لمعالم التنزيل (مراح لبيد)**، للجاوي، دار الفكر - بيروت.
- **تعقيبات على كتاب السلفية ليست مذهبا**، لصالح بن الفوزان، دار الوطن - الرياض.
- **تقريب المعاني**، للشرنوبي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **التعليق على لوامع الأنوار البهية**، لابن سحمان وعبد الله بابطين.
- **تقريب التهذيب**، للحافظ ابن حجر، دار ابن حزم - بيروت.
- **تكملة الرد على نونية ابن القيم** (مطبوعة مع كتاب السيف الصقيل للسبكي)= السيف الصقيل.
- **تلبيس الجهمية**، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة.
- **التمهيد لقواعد التوحيد**، للامشي، دار الغرب - بيروت.
- **تهذيب التهذيب**، للحافظ ابن حجر، دار الفكر - بيروت.
- **تهذيب اللغة**، للجوهري.
- **التوحيد**، للماتريدي، دار المشرق - بيروت.
- **التيسير في قواعد علم التفسير**، للكافيجي، دار القلم - دمشق.

- ج -

- **جامع البيان عن تأويل اي القرءان**، للطبري، دار الفكر - بيروت.
- **الجامع لأحكام القرءان**، للقرطبي، دار الفكر - بيروت.

- **الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية**، لطاهر الجزائري، دار ابن حزم - بيروت.

- ح -

- **حاشية الجلالين**، للصاوي.
- **حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي**، لشيخ زاده، وقف الإخلاص - إستانبول.
- **حاشية ابن قطلوبغا على المسايرة** (مطبوعة مع المسايرة) = المسايرة.
- **حَز الغلاصم في إفحام المخاصم**، لابن الحاج القفطي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

- د -

- **الدر المنثور في التفسير المأثور**، للسيوطي، دار الفكر - بيروت.
- **الدرة البهية في توحيد رب البرية** = رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة.
- **دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**، للحصني، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر.

- ذ -

- **ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر**، لابن طولون.

- ر -

- **الرحمٰن على العرش استوى وءاراء العلماء في المتشابه**، لإبراهيم الدسوقي، مجلة الأزهر - مصر.
- **ردود على أباطيل**، لمحمد الحامد.
- **رسائل في بيان عقائد أهل السنة والجماعة**، لمحمد بن درويش الحوت، عالم الكتب - بيروت.
- **الرسالة القشيرية**، للقشيري، مطبعة مصطفى الحلبي - مصر.
- **روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني**، للألوسي، دار الفكر - بيروت.

- س -

- **السنن الكبرى**، للبيهقي، دار المعرفة - بيروت.
- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل**، للسبكي، مطبعة السعادة - مصر.

- ش -

- **شرح تائية السلوك**، للشرنوبي، المطبعة الحميدية المصرية - مصر.
- **شرح حديث النزول**، لابن تيمية، طبعة زهير الشاويش - بيروت.
- **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، للصاوي، دار ابن كثير - بيروت.
- **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال، مكتبة الرشد - الرياض.
- **شرح العضدية**، لجلال الدين الدواني، القاهرة.
- **شرح العقيدة الواسطية**، للعثيمين، الدمام - السعودية.
- **شرح الفقه الأكبر**، لملّا علي القاري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **شرح متن جمع الجوامع**، للمحلي.
- **شرح المحصول**، للقرافي.

- ص -

- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية، دار العاصمة - الرياض.

- ض -

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، للسخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت.

- ط -

- **طبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين السبكي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

- ع -

- **عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، دار الفكر - بيروت.
- **العبر في خبر من غبر**، للذهبي، الكويت.
- **العقيدة الإسلامية: التوحيد في الكتاب والسنة**، وزارة العدل والشئون الإسلامية - الإمارات.
- **العلو للعلي الغفار**، للذهبي، مطبعة المنار - مصر.
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي، عالم الكتب - بيروت.

- غ -

- **غاية المرام في علم الكلام**، للآمدي، القاهرة - ١٩٧١.
- **غاية الوصول شرح لب الأصول**، لزكريا الأنصاري، أندونيسيا.

- **غريب القرءان وتفسيره**، لأبي عبد الرحمٰن بن المبارك، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **الغنية في أصول الدين**، للمتولي الشافعي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **غوث العباد ببيان الرشاد**، لمصطفى الحمامي، مكتبة الحقيقة - استانبول.

- ف -

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، للحافظ ابن حجر، دار المعرفة - بيروت.
- **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، للنابلسي، بيروت.
- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، لعبد الرحمٰن بن حسن، مكتبة دار السلام - الرياض.
- **الفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، لسليمان العجيلي، مطبعة عيسى الحلبي - مصر.
- **فرقان القرءان بين صفات الخالق وصفات الأكوان**، لسلامة العزامي، مطبعة السعادة - مصر.
- **الفقه الأبسط**، لأبي حنيفة، مطبعة الأنوار - القاهرة.
- **الفقه الأكبر** (مع شرحه)، لأبي حنيفة، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **الفقيه والمتفقه**، للخطيب البغدادي، دار إحياء السنة النبوية.
- **الفلك المشحون**، للسيوطي.
- **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، للنفراوي، مصطفى البابي الحلبي - مصر.

- ق -

- **القاموس المحيط**، للفيروزابادي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **القول المعتمد في تفسير قل هو الله أحد**، للأرميوني، دار ابن حزم - بيروت.

- ك -

- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، دار الفكر - بيروت.
- **الكبائر**، للذهبي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- **كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني**، للمنوفي، المكتبة الثقافية - بيروت.
- **الكلمات الحسان في بيان علوّ الرحمٰن**، لعبد الهادي وهبي، مؤسسة الريان - بيروت.

- **الكنز المدفون والفلك المشحون**، للسيوطي، مؤسسة النعمان - بيروت.
- **الكواكب الدرية على متممة الآجرومية**، للأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

- ل -

- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، للخازن، دار الفكر - بيروت.
- **لسان العرب**، لابن منظور، دار صادر - بيروت.
- **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، للجويني، عالم الكتب - بيروت.

- م -

- **مجلة الأزهر**، مصر.
- **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، دار عالم الكتب - الرياض.
- **مجموعة التفسير**، لابن تيمية.
- **مختار الصحاح**، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان - بيروت.
- **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات**، لابن بلبان الدمشقي، دار البشائر - بيروت.
- **مختصر العلو**، للألباني، طبعة زهير الشاويش - بيروت.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، للنسفي، دار الفكر - بيروت.
- **المدخل**، لابن الحاج، دار الفكر - بيروت.
- **المدهش**، لابن الجوزي، دار الجيل - بيروت.
- **مذكرات التوحيد**، لحسين مكي، القاهرة.
- مراح لبيد، للجاوي، دار الفكر - بيروت.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لملّا علي القاري، دار الفكر - بيروت.
- **المسامرة في شرح المسايرة** (مطبوع مع المسايرة)، لابن أبي شريف = «المسايرة».
- **المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة** (مطبوع مع شرحه المسامرة)، لابن الهمام، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **المستدرك**، للحاكم.
- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، للقاضي عياض، دار الفكر - بيروت.
- مشروع زايد لتحفيظ القرءان الكريم، الإمارات.
- **المصباح المنير**، للفيومي، مكتبة لبنان - بيروت.
- **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، للبغوي، دار الفكر - بيروت.

- **معاني القرءان**، للفراء، عالم الكتب - بيروت.
- **معاني القرءان**، للأخفش، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- **معاني القرءان وإعرابه**، لأبي إسحاق الزجاج، عالم الكتب - بيروت.
- **مفردات غريب القرءان**، للأصبهاني، دار المعرفة - بيروت.
- **المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية (ط٥)**، لعبد الله الهرري، دار المشاريع - بيروت.
- **مناهل العرفان في علوم القرءان**، لمحمد الزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي - مصر.
- **المنثورات وعيون المسائل المهمات**، للنووي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- **منهاج السنة النبوية**، لابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **موهبة ذي الفضل**، لمحمد محفوظ، المطبعة العامرة - مصر.
- **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**، لابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **ميزان الاعتدال**، للذهبي، دار المعرفة - بيروت.
- **الموضح في التفسير**، لأبي نصر السمرقندي، دار القلم - دمشق.
- **المواقف في علم الكلام**، للإيجي، عالم الكتب - بيروت.

- ن -

- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، لابن الجوزي، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- **نشر الطيب على شرح الشيخ طيب**، للوزاني، المطبعة الإسلامية في الأزهر - مصر.
- **النكت والعيون** (في التفسير)، للماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- **النهر الماد**، لأبي حيان، دار الجنان - بيروت.

- هـ -

- **الهدية العلائية لتلاميذ المكاتب الابتدائية**، لعلاء الدين الحنفي، دار ابن حزم - بيروت.

- و -

- **الوجيز في تفسير القرءان العزيز**، للواحدي، دار الفكر - بيروت.
- **الوسيلة في شرح الفضيلة**، لعبد الكريم المدرس، مطبعة الإرشاد - بغداد.

فهرس المواضيع

تَفْسِيرُ أُولِي النُّهَى

لقوله تعالى

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾



